الحقائق التاريخية وأثرها في النظم اللغوية الوصفية

عبد الرحمن أيوب
قسم اللغة العربية - جامعة الكويت

الملخص

قد يميل الباحث لأول وهلة لاعتبار الفروق بين العربية الفصحى ولهجاتها الحديثه، نتيجة لقوانين التطور اللغوى كالمحاكاة والتخصص وتوسيع المعنى أو تضييقه الخ. ولكنه لو اتسع بمجال نظره بحيث يشمل اللهجات العربية القديمة واللغات السامية الأخرى لوجد فيها نظيرا لما يجد في اللهجات الحديثة من تغيرات وهذا يعنى أحد أمرين:

١) ان تكون هذه الاختلافات بين الفصحى واللهجات الحديثة ليست تطورات بل مجرد بقايا تاريخية وصلت اليها من مصادر غير العربية الفصحى بالمشافهة.

٢) ان تكون هذه الاختلافات ممثلة لنزعات تطورية في العائلة السامية كلها وان تكون اللهجات قد أخذت مادتها عن الفصحى وتطورت بها بنفس الطريقة التي تطورت مادة السامة الاقدم Proto - Semetic في اللغات السامية الأخرى أو مادة الآرامية مثلا في لهجاتها الشرقية والغربية.

وفي ضوء هذه الخلفية عالج الباحث موضوعه، فلم يقتصر في مقارنته على مابين العربية الفصحى ولهجاتها من فروق، بل استعرض كذلك مابينهما و بين اللغات السامية الاخرى من فروق أو وجوه شبه. وقد قسم مادته الى مايتعلق منها بالاصوات ثم بالمفردات ثم بالتركيب الصرفي وأخيرا بالتركيب النحوى.

الاصوات:

قارن الكاتب بين مجموعات الأصوات وعدد من الصفات الصوتية الهامة في العربية الفصحى واللهجات الحديثة والساميات الأخرى.مثل التفخيم وسقوط الهمزة وتقصير الحركة الطويلة وحذف الحركة القصيرة وتغيير الحركتين المزدوجتين الى حركتين طويلتين الخ.

المفردات:

اختار الكاتب مجموعة من المفردات غير المعروفة الاصل أو التي تغيرت في اللهجات تغيرا من العسير تفسيره والتمس من مادة اللغات السامية ماقد يلقي الضوء عليها.

التراكيب الصرفية :

نوقشت في هذا الجزء آثار التغيرات الصوتية على اللواصق وعلى أوزان الكلمة، فتعرض الكاتب لما حدث لعلامة تأنيث الاسم وللاصقة المثنى ولبعض الاوزان الفعلية التي تغيرت أو انقرضت.

التراكيب النحوية:

تتأثر التراكيب النحوية بما يجد على الأدوات واللواصق من تغيرات صوتية أو صرفية وبما قد يجد اللغة من وسائل تركيبية. وقد عالج الكاتب مثل هذه التغيرات وآثارها في اللهجات، ومن أهمها سقوط العلامات الاعرابية واختفاء معظم الافعال المساعدة العربية (كان وأخواتها) وأدوات النسخ في الجملة الاسمية (ان وأخواتها) واستعاضة اللهجات عنها بأفعال مساعدة وأدوات جديدة ومدى الشبه بين اتجاه هذه التغيرات مع ماكان يوجد في الفصحى،ثم استعرض النفي في العربية الفصحى وفي لهجاتها والفرق بينها.

وانتهى الباحث بالالحاح على ضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ اللغة العربية وربطه بتاريخ لهجاتها القديمة واللغات السامية الاخرى وعدم الاكتفاء بالدراسة التقليدية التي تسيرعليها جامعاتنا.

CONSONANTS السواكن	Bi-labial	labio-dental	dental & alveolar	retro-flex	palato-alveolar	alveolo-palatal	palatal	velar	uvular	Phary-ngal	glottal
PLOSIVE انفجارى	ب		د ت ض ط	ـٮ			ج تش	ك	ق		ء
NASAL ألفى	م	ڤ	ن	ـٰ			ـٰ	ـٰ	ـٰ		
LATERAL FRICATIVE جانبى محتك			لز لس								
LAT NON-FRICATIVE جانبى غير محتك			ل	ـٰ			ل				
ROLLED متردد			ر						غر		
FLAPPED لمسى			ـٰ	ـٰ					غر		
FRICATIVE احتكاكى	ب	ف	ز س ذ ث ض ظ ا	ـٰ	ز ش	ش ج	حز ش	غ خ	غ خ	ع ح	ه ء
FRICTIONLESS CONTINUANTS	ـٰ	ـٰ	ـٰ							غ	

خلفى	متوسط	امامى
و		ى
ـٰ	ـٰ	ـٰ
٤	٦	
٩	ا	

الإنسان وافد غريب على بيئته لايكون عناصرها ولكنه يؤثر فيها و يستفيد منها ثم يتركها لوافدين من بعده. وليس هذا الحكم قاصرا على بيئة الانسان المادية بل أنه ينطبق كذلك على بيئته الثقافية، فالميراث الثقافي مفروض كذلك على الفرد لأنه يأخذ عن سابقية نماذج سلوكية تخطط نشاطه الاجتماعى في اتجاهه العام وتترك لارادته وقدرته على الابتكار مجالا محدودا يتحكم فيه قبول الآخرين أو رفضهم له. وهذه النماذج السلوكية هي موضوع البحث في الدراسات الثقافية ومن بينها اللغة. ومايسمى بالدراسات التركيبية، أو البنائية structural هي بصفة أساسية محاولة لاكتشاف هذه النماذج ودراسة العلاقات القائمة بينها ومدى تأثير كل منها في النماذج الأخرى أو تأثره بها.

ولكن دراسة هذه النماذج والعلاقات لا تمثل سوى جانب واحد من القضية، فهناك الى جانب دراسة الواقع البنائى، دراسة الأصل التاريخي وكيف تسلسل به الاستعمال الى أن انتهى لهذا الواقع. وهذه الدراسة التاريخية بدورها تعالج اتجاهات منتظمة ومتعددة: منتظمة بمعنى أنها تمثل مسارا متماثلا في كل من المؤسسات الاجتماعية ــ institutions ـ أو لنقل اللغات ــ التي تشترك في الأصل التاريخي. ومتعددة بمعنى أن هذه المسارات عرضة دائما للاضطراب بتأثير عوامل أخرى من عوامل التطور. ومع هذا فان هذه المسارات تظل في الأعم الأغلب تحمل طابعها المميز.

وفي الميحط الثقافي العربى تهمل الدراسات هذا الجانب الثاني من جانبى دراسة اللغة. وقد ركز القدماء دراستهم اللغوية على المادة والقاعدة،أو على القاموس والنحو والصرف،ولم يهتموا بدراسة التطور اللغوى الا اهتماما جانبيا تمثل في نقل بعض ماسموه من لهجات تقرب أو تبعد من الفصحى.

ومن هنا فقد ورثنا ثروة قاموسية ونحوية وصرفية ضخمة، ولكنا لم نرث قاموسا تاريخيا،أو مجرد أجزاء يمكن أن تكون مادة في قاموس تاريخي. أما المتحدثون من دراسى اللغة في العالم العربى فقد اهتموا بالنظريات اللغوية التي يتوالى ظهورها والتي يرتبط بعضها بعلم النفس أو الاجتماع أو الرياضة. وهذه رغم عمقها وخطورة

مفهوماتها قصرت إلى حد كبير عن التطبيق الواسع على العربية ولهجاتها وأهملت إهمالا كاملا دراسة القضايا التاريخية اللغوية للغة العربية.

وسأحاول هنا علاج بعض هذه القضايا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر وسأشمل بحديثي جوانب الأصوات والمفردات والقواعد ــ أو مايسمى حديثا بالقوانين أو النظم.

أولا ــ الأصوات

سأتعرض هنا لبعض الأصوات في العربية ولهجاتها ومايناظرها في اللغات السامية. ولن يكون هذا على سبيل الحصر كذلك،بل انى سأختار نماذج من الأصوات أو الصفات الصوتية التي تميزها لأ وضح مدى التطور فيها ومدى ارتباط هذا التطور بتيارات التطور في الساميات.

أ ــ الأصوات الأسنانية:

وهي الثاء والذال والظاء.وقد وجدت في السامية الأم وفي العربية الفصحى والعربية الجنوبية الشرقية والأورجاريتية، ولكنها انقرضت من جميع اللغات السامية الأخرى. ومن الأصوات الأسنانية الشفوية الفاء،وهي توجد في العربية والعربية الجنوبية الشرقية والحبشية نظيرالباء المهموسة/P/في الساميات الأخرى بما في ذلك الأم. وتشيع ظاهرة التخلص من الثاء والذال والظاء في النشاط اللغوى في المصرية والسودانية وبعض اللهجات الأخرى حيث تصير الثاء تاء والذال دالا وتصير الظاء لثوية.

ب ــ الأصوات الجانبية:

في السامية القديمة صوت جانبى واحد هو اللام. ولكن صفة الجانبية لم تقتصر على هذا الصوت، حيث وجدت في الراء الى جانب صفة التردد أو اللمس، وفي الشين الى جانب الاحتكاك واللثوية والصلابة (الشجرية)،وفي الضاد التي وصفها بها سيبويه الى جانب الاحتكاك والجهر واللثوية والصلابة والأسنانية. وقد سبب

هذا الاشتراك في الصفات بين هذه الأصوات تغير بعضها الى بعض أو وجود واحدة منها في لغة سامية مكان واحدة أخرى في لغةسامية أو أكثر.

ومن بقايا هذه التغيرات في العربية لفظ «علوض» بمعنى ثعلب وهو ينطق بالشين أيضا «علوش» والفعل «ناض» بمعنى حمل و ينطق أيضا «ناش» (١).

١ ــ وتفسير هذا التبادل بين الشين والضاد هو اشتراك هذين الصوتين في الشجرية والجانبية والاحتكاكية. و بسقوط الجهر من الضاد تصير شينا جانبية، كما أن زيادة الجهر على الشين الجانبية يجعلها ضادا جانبية .

٢ ــ هذا ولا تزال الضاد الجانبية التي وصفها سيبو يه تنطق في بعض اللهجات اليمنية المعاصرة. وقد ذكر لى السيد/ على محسن حفيظ أن اللهجة الشحرية تخلط بين الضاد والصاد فلا تفرق في النطق بين «ضل» و «صل» ولا بين «صم» و «ضم».

و يفسر حدوث هذا أدائيا بأن الضاد الفصحى قد فقدت عنصرى الجهر والشجرية وصارت بالتالى صوتا جانبيا محتكا لثو يا مفخما وهذا نوع من الصاد. و يذكر موسكاتى أن الصاد والضاد كانتا تختلطان في خط اكسوم الذي دونت به نصوص أثيوبية قديمة. وهذا يعنى أن هذه الحقيقة ليست تطورا حديثا.

١ ــ الضاد العربية:

يؤخذ مما قاله سيبو يه ومن بعده في وصف الضاد الفصحى أنها ساكن صلب لثوى أسنانى جانبى محتك مجهور (٢) ولانزال نسمع هذه الضاد في قراءة المرتلين المجيدين من قراء القرآن. أما الضاد التى على ألسنتنا اليوم فهى تختلف على طرائق عدة.

١ ــ الضاد كما ينطق بها المثقفون المصريون والسودانيون واللبنانيون في لهجاتهم الدارجة وفي اللغة الفصحى،وهي ضاد انفجارية صلبة لثو ية مجهورة مفخمة. وهذه الضاد قد فقدت الجانبية والأسنانية والاحتكاكية و يأتى هذا باحكام اتصال اللسان باللثة وعدم اتصاله بالأسنان الجانبية.

٢ ــ الضاد التي ينطق بها العراقيون والكويتيون وطائفة من سكان الجزيرة العربية، في لهجاتهم ونطقهم باللغة الفصحى وهي صوت احتكاكي أسناني مجهور مفخم. وقد فقدت الضاد هنا صفة الجانبية و يتأتى هذا باتصال اللسان بالأسنان الجانبية. والضاد بهذه الصفة تطابق الظاء الفصحى والتي لا تزال منطوقة في هذه المناطق كما كانت. و بهذا يختلط على كثير من متكلمي هذه المناطق صوت الضاد وصوت الظاء. وكثيرا مايتساءلون عما اذا كانت الضاد في كلمة ما مثل (ضل) أخت الصاد أو أخت الطاء، أى أنهم يستعينون بالكتابة الخطية على تمييز كلمة من أخرى، وذلك لعدم التمييز بين كلمتى «ضل» و «ظل» مثلا بواسطة السماع.

٣ ــ الضاد التي ينطق بها متكلمو العربية من المسلمين في غرب افريقيا ــ وفي اسبانيا قديما. وهي تماثل اللام حيث أنها صوت جانبى لثوى مجهور. وقد فقد هذا الصوت الأسنانية والاحتكاك. ومن ثم نسمع لفظ «رمضان» و«القاضى» منطوقة «رملان» و«القالى» ولعل هذا يفسر أصل اسم أبى على القالى صاحب الامالى الذي يقابل فيه لفظ القالى الأصل الفصيح «القاضي».

٤ ــ الضاد التي تنطق في بعض مناطق اليمن اليوم ولا تزال هذه الضاد تحتفظ بالصفات الفصحى كلها، الجانبية والأسنانية والصلابة واللثوية والجهر والاحتكاك والتفخيم. وقد نقلت عن السيد/ على محسن حفيظ (٣) نطقه «ضرب» بضاد جانبية أسنانية صلبة لثوية مجهورة احتكاكية مفخمة/ لض /. ر / ب ولكن الطريف أنه ينطق الظاء بنفس الطريقة التي ينطق بها الضاد. وهذا يعنى أن اختلاط الصوتين الظاء والضاد قد حدث في لهجته كما حدث في لهجة الكويت مع فارق هو أن الذي تغير في لهجة الكويت والعراق هو الضاد التي صارت كالظاء. أما في لهجة قبيلة المناهيل اليمنية فان الذي تغير هو الظاء التي صارت كالضاد.

والظاهر أن هذه التغيرات التي طرأت على الضاد العربية ليست حديثة فقد قال ابن الجزرى في كتابه النشر في القراءات العشر «والضاد انفرد بالاستطالة. وليس في الحروف مايعسر على اللسان مثله. وإن ألسنة الناس فيه مختلفة وقل

من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء ومنهم من يخرجه بالذال ومنهم من يجعله لاما مفخمة» (٤).

وخلاصة ماسبق أن الصفات التي ذكرها سيبويه للضاد الفصحى توجد متفرقة في اللهجات العربية المختلفة، وان كانت الضاد العربية التي وصفها سيبويه لا توجد في غير القراءة القرآنية وفي بعض لهجات القبائل اليمنية.

الأصوات المفخمة:

في اللغة السامية الأم، وفي مختلف اللغات السامية المتفرعة عنها توجد مجموعة من الأزواج الصوتية المتماثلة في الأداء وفي الأسماع والتي لايميز واحدا من الزوجين عن الآخر سوى مايسمى بالتفخيم أو الترقيق. وفي العربية الفصحى المعاصرة توجد الأزواج: ذ : ظ ، ت: ط ، د : ض، س : ص. وتوجد أزواج مماثلة لهذه في اللغات الساميات الأخرى وان كنا نجد اختلافا بين هذه اللغات على احدى طريقتين، أما باختلاف عدد هذه الأزواج التي تتميز بالتفخيم والترقيق كالسوريانية التي لايوجد فيها الزوج ذ: ظ ،أو بالعملية التي يتم بها الاختلاف بين فردى كل من هذه الأزواج، ففي الوقت الذي يتم فيه هذا في العربية بتراجع مؤخرة اللسان في اتجاه جدار البلعوم الخلفى، فانه يتم بطريقة أخرى هي اغلاق الأوتار الصوتية أى بالهمزة أثناء العمليات الصوتية الأخرى. و يشير بروكلمان في سياق وصفه للأصوات السامية الى أن الأصوات المفخمة ط ، ق، ظ ، ص، ض، كانت تنطق مهموزة مع تدخل مؤخرة اللسان وهذا يعنى أن الهمزة كانت صفة أخرى الى جانب تراجع اللسان (٥) و يعنى هذا أن العربية تكون قد تخلصت من الهمز في اجراء عملية التفخيم واقتصرت على تراجع خلف اللسان في فراغ البلعوم. هذا ولايزال الهمز يمثل عملية التفخيم في اللهجمات الأثيوبية المعاصرة وذلك دون تراجع مؤخرة اللسان. و بالرغم من الفرق الأدائى والاسماعى بين عملية الهمز وعملية تراجع اللسان، فان النظام لايزال قائما حيث أن الازواج التي تميز العملية بين أفرادها لا تزال هي ت: ط . الخ.

وقد سبق لك أن رأيت كيف تغير نطق الضاد الفصحى القديمة الى أنواع متعددة كما أن الطاء قد فقدت الجهر فصارت صوتا مهموسا وقد أدى هذا الى اضطراب في افراد الازواج المفخمة والرقيقة ولكن نظام التفخيم نفسه قد بقى.

و يقول سيبويه «لولا الأطباق ــ أى التفخيم ــ لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها» وهو هنا يحصر الأزواج على هذا النحو

ص: س وكلاهما لثوى احتكاكى مهموس مع تفخيم الاول

ظ : ذ وكلاهما أسنانى احتكاكى مجهور مع تفخيم الاول

ط: د وكلاهما لثوى انفجارى مجهور مع تفخيم الاول

ض: ــ ولا نظير لها وهي صوت أسنانى جانبى احتكاكى مجهور.

فقد ان الجهر في الطاء خالفت الدال ماثلت التاء .

و بفقدان الجانبية وتغير الأسنانية إلى لثوية والاحتكاك الى انفجار ماثلت الضاد الدال في المصرية. و بفقدان الجانبية فقط و بقاء الاحتكاك والأسنانية تداخلت الضاد والظاء (في العراق والكويت).

وهكذا نجد هذه الأزواج في الفصحى الحديثة عند المصريين على هذا النحو: ص: س، ظ: ذ، ط: ت، ض: د.

أما في فصحى الكويتية والعراقية فالأزواج تقتصر على ثلاثة لتداخل الضاد والظاء.

ولا يقتصر التفخيم في بعض اللغات على الصوت المفخم نفسه بل انه ينتقل الى ما يجاوره من أصوات. وقد اختلفت اللهجات العربية فيما بينها في حدود هذا التأثير.

وفي العربية الفصحى تتقسم الأصوات الى مستعلية وهي الأصوات الأربعة (ظ، ط، ص، ض) و يسمونها المطبقة الى جانب القاف والغين والخاء والى مستغلة وهي بقية السواكن. والفرق بين المستعلية غير المطبقة والمستعلية المطبقة ينحصر في أمرين أحدهما أدائى وثانيهما سلوكى. أما الأدائى فهو أن تراجع اللسان أمر لازم بالضرورة لمخرج الحرف المستعلى غير المطبق، حيث أن القاف والخاء والغين أصوات لهوية، أى أن مؤخرة اللسان تلتقى باللهاة أو بما قبلها بقليل من سقف الحنك الرخو.

وحتى تتحقق هذه العملية فان اللسان يتراجع بالضرورة الى الخلف. وتراجع اللسان عند عملية التفخيم عملية أخرى تحدث بالاضافة الى عملية أدائية ثانية هى في الظاء والضاد القديمة الاسنانية وفي الطاء والضاد والصاد الحديثة اللثوية وهكذا. وعلى هذا فالاصوات المطبقة مزدوجة المخرج أما الاصوات المستعلية غير المطبقة فأحادية المخرج.

ومن الناحية الوظيفية تقتصر صفة التفخيم في الأصوات المستعلية غير المطبقة على الصوت نفسه دون مايجاوره من أصوات كما أن وجوده مع الكسرة أو الياء يزيل عنه التفخيم. أما الاصوات المستعلية المطبقة فانها تؤثر بالتفخيم على مايجاورها وتؤثر في نوع الكسرة التي تليها بالتفخيم، ولا تتأثر بها.

مثال ذلك «خال» بتفخيم الخاء «وخيل» بترقيقها،و «ضال» و«ضير» و«ضلع» بتفخيم الضاد ومايجاورها من أصوات في كل الحالات.

الى جانب الاصوات المستعلية تكتسب الراء صفة التفخيم اذا وليتها فتحة أو ضمة وتزول عنها هذه الصفة اذا وليتها ياء أو كسرة أما اللام فانها تفخم فقط في لفظ الجلالة اذا لم تكن مجاورة للكسرة ولهذا ينطق لفظ «الله» في العبارة «الله لا اله الا هو» بالتفخيم و ينطق بالترقيق في «بسم الله».

هذا الوضع تغير في اللهجات العربية بطرق مختلفة، فأصبح التفخيم في المصرية ليس قاصرا على الاصوات المفخمة فهو موجود في الالفاظ «أب» (من الابوة) مهرى (بياء المتكلم) وغير موجود في «أب» (بمعنى طفا) و «مهرى» (اسم المفعول) كما أنه يوجد في العراقية في كلمة «جلب» (قلب) و «خالى» (أخو أمى) ولا يوجد في «جلت» (قلت) أو «خالى» (من الخلو).

وقد فقدت اللهجة العربية في مالطة الأصوات (٦) المفخمة كما فقدت هذه الاصوات كذلك في لهجة الاندلس العربية التي يتكلمها المسلمون اليوم هذا وتميل سيدات وآنسات القاهرة اليوم الى التقليل من مقدار التفخيم في الاصوات المفخمة في لهجتهن المصطنعة.

وان يكن لايزلن يحتفظن بالتقريق بين فردى الازدواجية :تفخيم ترقيق. هذا ونود أخيرا ان نذكر أن التطورات التي تحدث في اللهجات العربية في نطاق التفخيم والترقيق تمثل امتداداً لما حدث في اللغات السامية الأخرى التي فقدت أو غيرت من صفة التفخيم.

الاصوات الحنجرية والبلعومية:

وهي الهمزة والهاء والعين والحاء. وهي توجد في السامية الام وجميع اللغات السامية فيما عدا الاكادية اذ لا يوجد فيها من هذه الاصوات سوى الهمزة. وقد أخذت بعض هذه الاصوات في الانقراض من بعض اللغات السامية، فالعين أصبحت في العبرية الحديثة حركة والحاء هاء. ومن مظاهر عدم استقرار هذه الاصوات في العربية وجود عين مكان الهمزة في مثل «عن» بدلا من «أن» وتسهيل الهمزة الى هاء في قراءة «أهعجمي وعربى» بدلا من «أأعجمى وعربى» ووجود حركة مكان العين في الفاظ العدد في اللهجة المصرية مثل «اربعتاشر» بدلا من أربعة عشر. وكل هذه الامثلة تعكس نفس النزعة السامية السائدة في اللغات السامية الاخرى.

همزة التعدية:

هذا وللهمزة والهاء وظيفة صرفية في الكلمة السامية نذكر منها زيادتها على المادة التصريفية للفعل فيما يعرف بالاصل المزيد بالهمزة في العربية والمزيد بالهاء في العبرية أو ما يعرف في النحو العربى بصيغة «التعدية».

أى صيغة «أفعل» في العربية وصيغة «هفعيل» في العبرية. وفي العربية الفعل «أراق» وهو مزيد بالهمزةو يظهربالهاء في نفس الكلمة و بنفس الوظيفة على صورة «هراق» أى بهاء التعدية بدلا من الهمزة.

الفعل «أقام»

هذا الفعل العربى مزيد بالهمزة، ومفهوم القاعدة العربية أن يكون فعلا

متعديا بعد همزة الزيادة. وذلك في مثل «أقام الدنيا وأقعدها» ولكن هذا الفعل لازم مثل «أقام في المدينة يومين».

وليس ثمة من شك في أن الفعل المجرد في كلتا الحالتين هو «قام» اللازم. وقد تعدى هذا الفعل بالهمزة في الحالةالاولى واستمر مع وجودها على اللزوم في الحالة الثانية ولهذا تفسير:

القاعدة في اللغات السامية أن زيادة الهمزة (أو الهاء أو السين) على المادة الثلاثية يكون للتعدية اذا لم يدل الفعل على وصف ثابت، فاذا دل على وصف ثابت فان الصيغة المزيدة لا تكون للتعدية. ومن ذلك في العربية الفعل المزيد «أحسن» في المثالين «احسن اليه» «وافصح عما في نفسه» وهما فعلان لازمان رغم زيادة الهمزة (موسكاتى: ١٣٥) وبالتأمل في مفهوم الفعل «قام» في العربية نجد أنه يستعمل بمعنيين الاستقرار والحركة. ومثال الاستقرار قوله تعالى «وتركوك قائما» و «محمد قائم» أى واقف. ومثال الحركة «قامت القيامة» «وقامت الحرب» «وقام اليهم» وفي العربية الحديثة «قام القطار» والفعل في كل هذه الحالات يفيد الحركة. وبزيادة الهمزة طبقت القاعدة السابقة على هذا الفعل بمعنييه، الاستقرار في مثل «أقام في المدينة» والحركة في مثل «أقام الدنيا وأقعدها». وكان الفعل لازما رغم زيادة همزة التعدية في الحالة الاولى ومتعديا من أجل زيادتها في الحالة الثانية.

الفعل المصرى «خرج» المفخم و«خرج» المرقق:

في المصرية فعلان من نفس المادة يفرق بينهما في النطق والمفهوم التفخيم والترقيق وهما خرج بالتفخيم وضم الراء في المضارع وهوفعل لازم وخرج يخرج بالترقيق وكسر الراء في المضارع. ومثال الفعل الثاني يخرج عينه (في القاهرة خاصة). و«يخرج الماورد» ويخرج الفيلم والماضي هو «خرج» بالترقيق وفتح الراء(٧). وهناك فعل ثان يفرق الترقيق والتفخيم بين صيغته المتعدية واللازمة هو الفعل «خرب» ومضارعه «يخرب» بالتفخيم وفتح الراء في المضارع وضمها في الماضى وهذه هي

صيغة اللزوم. أما صيغة التعدية فهي «خرب» ومضارعه «يخرب» بالترقيق وكسر الراء في المضارع وفتحها في الماضى. ومثال ذلك مايأتى:

١ ــ بيته خرب، بيته يخرب، بالتفخيم والفعل هنا لازم

٢ ــ دا خرب بيته، يخرب بيته، بالترقيق والفعل هنا متعد

هل معنى هذا وجود صيغة فعلية جديدة للتعدية تتمثل في تفخيم الصيغة عند لزومها وترقيقها عند تعديتها؟ وهل خرجت المصرية بهذا الى مجال صرفى جديد على اللغات السامية كلها، هي استعمال خاصة صوتية «Prosody» هي التفخيم استعمالا صرفيا؟

تعتمد الاجابة عن هذا السؤال على نظريتين وقانونين صوتيين. وأولى النظريتين الاصل التصريفى للفعل الماضى هو المضارع وليس المصدر ولا العكس (٨) والثانية هي أن الصرفيم morpheme قد يتمثل بمجموعة الاصوات التي يتكون منها وقد يتمثل في ظروف صوتية معينة ببعضها فقط. ومثال هذه الحالة الثانية صرفيم المادة في المضارع في المثالين «محمد يقوم» و «محمد لم يقم» حيث تمثل صرفيم المادة في الحالة الاولى بالقاف وطول الضمة (أى الواو) والميم أما في الحالة الثانية فقد تمثل بالقاف والميم فقط، دون الواو (المتمثلة في طول الضمة) لسبب صوتى هو التقاء الساكنين.

أما القانون الصوتى الاول فهو نزوع اللهجة المصرية الى اسقاط الهمزة في أول الكلمة كما في مثل «حد» بدلا من «أحد» «خد» بدلا من «أخذ» و «كل» بدلا من «أكل». وأما القانون الثانى فهو ترقيق الراء اذا وليتها كسرة.

ونظرا لوجود هذا القانون الصوتى فقد انصرفت اللهجة المصرية عن تعدية الفعل بزيادة الهمزة ولجأت الى الوسيلة الثانية التي تستعملها العربية وهي تضعيف الأصل الثانى من الفعل. ولهذا فان المصرية تقول «فهم» و «علّم» و «دخّل» و «طلّع» ولا تقول «أفهم» أو «أعلم» أو «أدخل» أو «أطلع» والظاهر أن من بقايا التعدية بالهمزة في المصرية بعض الأفعال، ولنا عليها تعليق.

١ ــ الفعل خرج:

تقتضى التعدية بالهمزة في العربية الفصحى ضم أول المضارع وكسر عينه وبالتالى يكون مضارع «أخرج» هو «يخرج» وبمقتضى وجود الكسرة بعد الراء تكون الراء رقيقة، وتنعكس هذه الرقة على الأصوات المجاورة لها. هذا في الفعل المضارع من «أخرج» أما المضارع من «خرج» فهو «يخرج» بضم الراء. ولما كانت الراء غير مكسورة والخاء من أصوات الاستعلاء التي تفخم في العربية فان صيغة المضارع تكون مفخمة. وقد احتفظت المصرية بترقيق الأول وتفخيم الثانى.

أما صيغة الماضى اللازمة فأنها «خرج» تنطق بالتفخيم لنفس السبب الذي ذكر بالنسبة للمضارع. ولكن صيغة الماضى المتعدى بالهمزة «أخرج» قد خضعت أولا لسقوط الهمزة الأولى وفق القانون الصوتى الذى ذكرناه ثم ورقق النطق بها حتى تجانس صيغة المضارع. وهكذا انتهينا في المصرية الى:

أ ــ خرج (بفتح الراء والتفخيم) يخرج (بالضم والتفخيم)

ب ــ خرج (بالفتح والترقيق) يخرج (بالكسرة والترقيق)

نأتي الآن الى الجانب الصرفيمى لنقول بأن التعدية في «يخرج» في المصرية تمت بكسر حرف المضارعة (وهو مكسور دائما في المصرية حتى ولو كان مقابله العربى مضموما لتعدى الفعل بالهمزة) وكسر عينه كما هي في الفصحى. وعلى هذا يكون صرفيم التعدى في المضارع في الفصحى هو «ضم حرف المضارعة + كسر العين». وفي المصرية «كسر حرف المضارعة + كسر العين». أما عنصر الترقيق في المضارع في المصرية فليس صرفيميا لأنه قانون صوتى مطرد وليس له بالضرورة قيمة صرفية في كل الحالات. و يكون صرفيم التعدى في صيغة الماضى في الفصحى هو «الهمزة المفتوحة وسكون فاء الكلمة» و يكون في المصرية بعد سقوط الهمزة هو مجرد ترقيق الكلمة (قياسا على الترقيق في المضارع) فحسب وهذا لأن صيغة «خرج» المتعدى في المصرية تماثل صيغة «خرج» اللازمة في كل شيء سوى أنها رقيقة بينما الصيغة اللازمة» مفخمة.ومعنى هذا أن صرفيم التعدى في المصرية هو الترقيق فقط في الماضى

والمضارع وصرفيم اللزوم هو التفخيم فقط في الماضى والتفخيم وضم العين في المضارع.

ولما كان الترقيق لا يمثل التعدى الا في الفعل «خرج» (والفعل خرب كما سيأتى) فانه لايمكن اعتباره قاعدة شاملة أو صرفيما عاما يمثل التعدى.

الفعل «خرب»:

الفعل «خرب» في الفصحى فعل لازم ــ فيما أعرف ــ يتعدى بتضعيف عينه «خرب». وهذا الفعل اللازم في الفصحى من أفعال الصفات مثل «حسُن» و «جمل» التي تكون مضمومة العين ومفتوحة الفاء. ومثل هذه الأفعال في المصرية تخضع لقانون انسجام الحركات Vowel Harmony.ومن ثم يكون مضموم الفاء والعين مثال ذلك: قطع/ ء و ط ع/ زهق/ زوهـوء/ غلب/غ و ل و ب/(٩) ومضارع هذه الأفعال لايكون مكسور العين مثل: يقطع ــ يزهق ــ يغلب(١٠) وهكذا يوجد في المصرية الفعل اللازم خرب يخرب وهو مفخم لوجود الخاء والراء غير المكسورة كما رأيت في حالة «خرج».

أما الصيغة المتعدية وهي صيغة رقيقة خرب ــ يخرب فيمكن أن تفسر بنفس تفسيرنا للترقيق في الفعل المتعدى «خرج» أى بأن الرقة ناتجة عن كسره مضارع الفعل المتعدى بالهمزة وحرف المضارعة كما سبق أو أن يقال بأن الفعل على وزن فعل يفعل أى بفتح عين الماضى وكسر عين المضارع كما في ضرب ــ يضرب. وعلى أى من الفرضين فان ترقيق الماضى قياس على ترقيق المضارع الناتج عن وجود الكسرة بعد الراء فيه.

الفعل «بعد»:

الفعل «بعد» في الفصحى يدل على صفة ولهذا فهو لازم و يعدى بالهمزة فيصير «أبعد» و يقابل هذا الفعل عند لزومه في المصرية الفعل «بعد» بكسر فائه وعينه أى وزن «فعل» وهو وزن يدل على الصفة اللازمة كذلك بالاضافة الى وزن « فُعُل » الذي سبقت الاشارة اليه. و يبدو أن المصرية قد اقترضت من الفصحى

الصيغة المتعدية بالهمزة «أبعد» ثم أسقطت همزتها طبقا للقانون المشار اليه فنشأ الفعل «بعد» المتعدى وكانت عين مضارعه مكسورة كعين مضارعه في الفصحى. وهكذا نشأ في المصرية صيغتان لهذا الفعل هي:

أ ــ اللازم بعد والمضارع يبعَد العين.

ب ــ المتعدى بعد والمضارع يبعد بفتح العين.

في الفصحى من الصيغة المتعدية اسم المفعول «مبعد» وهو مستعمل في المصرية كما أن المصرية تعدي الفعل «بعد» بتضعيف العين «بعد» وقد نتج عن هذا بعض التخصص الدلالى على النحو الآتى:

١ ــ بعد يبعد فعل لازم بمعنى ذهب بعيدا مثل «أنت بعدت عنى» و «المسافة بعدت».

٢ ــ بعد يبعد المتعدي بمعنى «عزل» مثل الحكومة بعدته من قائمة الترشيح. (١١).

٣ ــ بعد يبعد المتعدى أى جعل الشيء بعيدا مثل «الزمن بَعَد الحبايب» ــ «الحكومة بَعَدته».

همزة التأنيث وهاء التأنيث:

يؤنث الاسم في العربية الفصحى على حد ما يقول اللغويون العرب بهاء التأنيث التي تصير تاء في الوصل ــ وألف التأنيث المقصورة ــ أو الفتحة الطويلة في آخر الاسم أو ألف التأنيث الممدودة. ومثال ذلك فاطمة وحمراء وليلى. وفي المصرية صارت هذه الطرق الثلاث طريقة واحدة خضوعا لقوانين صوتية تتمثل في التخلص من الهمزة الأخيرة وفي قصر الحركة الطويلة في آخر الكلمة وفي وجود هاء (هاء السكت) في آخر الكلمة المنتهية بحركة قصيرة في آخر الكلام وسقوط الهاء الأخيرة من الكلمات اذا وقعت في وسط الكلام. وهكذا نصل الى ما ياتى:

حمراء	* حمرا	
* حمرا وليلى	حمر وليل	في الوصل
	حمره وليله	في الوقف

وبهذا ننتهى الى «فاطمة» ــ و «حمرة» و «ليله» في الوقف والى فاطمَ وحمرَ وليلَ في الوصل (١٢).

ولو رجعنا الى اللغة السامية الأولى واللغات السامية الأخرى لوجدنا للظاهرة عمقا أبعد. ونود قبل مناقشة هذا الموضوع التفريق بين أنواع الصرفيمات في اللغات السامية.

ويمكن القول بأن الصرفيم قد يكون خارجيا external أو داخليا internal. ومثال الصرفيم الخارجى السوابق واللواحق مثل أداة التعريف «أل» ومثل أداة التثنية «ان» في «الولدان» حيث أنهما اضافة خارجية للفظ «ولد». أما الصرفيم الداخلى فهو الذى يكون نتيجة تغير صوتى في بعض الأصوات أو بعبارة أخرى ــ بالنسبة للغات السامية ــ هو الذي يكون جزءا من الوزن الاشتقاقى للكلمة فالضمة التي بعد الكاف والتاء في «كتب» اذا ماقورنت بالكسرة التي بعد الكاف والفتحة الطويلة التي بعد التاء في «كتاب» تمثل تغييرات صوتية انتهت الى صيغة الجمع «كُتُب». ومن أجل هذا نعتبر هاتين الحركتين صرفيما داخليا حول صيغة المفرد الى صيغة الجمع. أما الصرفيم النحوى فهو الأدوات ذات القيمة النحوية أو التركيبية مثل ليس، ان، وسوف وليس لهذه معنى الا في حالة وقوعها في التركيب. (موسكاتى: ٧١).

وبهذا المنطق يمكن أن نفرق بين هاء التأنيث مع الاسم التي تصير تاء في الوصل وبين الألف المقصورة والألف الممدوده، حيث أن الأخيرتين وحدهما تمثلان جزءا من الصيغة وليستا زيادة عليها فوزن فعلاء وفعلى يمثلان صيغة المؤنث من أحمر (حمراء) ومن أكبر (كبرى) أما تاء التأنيث (أو الهاء) فانها تمثل صرفيما خارجيا يضاف الى صيغة المذكر فيكسبه التأنيث كما تضاف «أل» الى النكرة للتعريف والألف والنون للمفرد ليثنيه. وهكذا فاننا نؤنث «كريم» فنقول «كريمة» دون حدوث أى تغيير في صيغة المذكر سوى اضافة صرفيم التأنيث، أما الفتحة الطويلة في نهاية «كبرى» والفتحة الطويلة والهمزة بعدها في نهاية «حمراء» فهى جزء لا يتجزأ من صيغة «فعلى» و «فعلاء» والذي أفاد التأنيث هنا ليس الألف المقصورة أو

الممدوده بل هو الوزن بأجمعه فلوحذفت هذه الألف أوتلك فان مايبقى بعدهما أى «كبر» و «حمر» لا يدل على شيء بخلاف «حمارة» التي ينتهى حذف الهاء منها الى «حمار» وهي الاسم المذكر المقابل لحماره.

وعلى هذا تكون أداة التأنيث بالمعنى الصرفى في العربية الفصحى هى الهاء / التاء أما وزن فعلى وفعلاء فهو وزنان للمؤنث وليس وزنين زيد عليهما صرفيم التأنيث(١٣).

ولنرجع الآن الى السامية الأم لنقرر أن أداة التأنيث فيها هى التاء عند الوصل والفتحة الطويلة عند الوقف. وفي العبرية صارت علامة تأنيث الاسم فتحة طويلة بعدها هاء (وهي أصلا فتحة بعدها تاء) ولكن هذه التاء تظهر في حالة الاضافة (١٤).

هذا يعنى أن تأنيث الاسم كان في الأصل بتاء ساكنه قبلها فتحة، كما في تأنيث الفعل الماضى المفرد (كتبت). ثم ان العربية والعبرية أسقطت هذه التاء واقتصر تأنيث الاسم على الحركة. ولكن العبرية أرجعت هذه التاء عند الاضافة وأطالت الحركة عند عدم الاضافة.

أما العربية فقد جعلت أداة التأنيث في الوقف هي الحركة ثم أضافت اليها هاء السكت التي كثيرا ما تضيفها في الوقف اذا انتهت الكلمة بحركة في مثل «ليه» بدلا من «لى» «ماهية» بدلا من «ماهى» الخ. وذلك بالاضافة الى صيغتى فعلى فعلاء وهم الصيغتان المؤنثتان للمذكر الذي على وزن أفعل ووزن فعلان كما ذكرنا.

أما المصرية فانها تعتبر امتداد للأصل السامى في هذا الصدد وذلك لأنها:

١ ــ تخلصت من وزن فعلى وفعلاء على النحو الذي ذكرناه من قبل.
٢ ــ خالفت العربية في بعض الأسماء المؤنثة التي تفرض القواعد الفصحى تأنيثها بالوزن فجعلتها مؤنثة باضافة هاء التأنيث مثل كبيرة (المذكر أكبر) بدلا من

«كبرى» في مثل «دى كبيرة عن أختى» «وأنا أكبرمنها» حيث لم تستعمل صيغة «كبرى» للمؤنث.

٣ــ اقتصر استعمال التاء في الاسم على حالة الاضافة فقط كما كان الحال في اللغة السامية الأم وفي العبرية. أما في الوصل عند عدم الاضافة فان التاء تسقط، مثال ذلك:

العربية	المصرية	ملاحظات
الطويلة أجمل من القصيرة	الطويل أجمل من القصيرة	الوصل دون اضافة بالحركة
هذه طويلة الرقبة	دى طويلة الرقبة	الوصل بالاضافة (بالتاء)
هذه طويلة	دى طويلة	الوقف (بالهاء)

وماحدث في المصرية انتهى بها الى ما كان عليه الوضع في السامية الأولى.

الحركات:

الحركات في السامية الأم، كما هي في العربية ثلاثة، الفتحة والكسرة والضمة وقد تكون طويلة أو قصيرة. وبالاضافة لهذه الحركات توجد حركتان مزدوجتان هما / او au / و/ اى ai / . وفي العاميات العربية صارت هاتان الحركتان المزدوجتان حركتين خالصتين جديدتين هما/ ى ى :e / مثل بين / ب ى ى ن/ من بين / ب ا ى ن/ الفصحى وصوم / ص و و م/ من صوم /ص اوم/ الفصحى.

وماحدث في العربية ولهجاتها يعكس صورة مماثلة لما حدث في السامية الأولى واللغات التي تفرعت عنها حيث تحولت الحركات المزدوجة الى حركات خالصة (موسكاتى: ٤٦ ــ ٥٦) وسنقتصر هنا على مناقشة عدد محدود من الأمثلة.

حول (١٥) وحال:

الواضح أن الأصل التصريفى لهذين اللفظين واحد، وهو يتمثل في الحاء والواو

واللام. والواضح أيضا أن كلا اللفظين يمثل مصدرا من هذا الأصل الثلاثى بتغير في حركات المادة. ونحن نلاحظ ما يأتى:

١ ــ المصدر «حول» يمثل الأصل الأول (ح) و بعده فتحه والأصل الثانى (و) و بعده فتحة والأصل الأخير (ل) /ح أ و ال/ وهذا يعنى أن القاعدة الصرفية التي اشتقت على أساسها الأفعال «قال» و «حال» و «صام» من المادة المعتلة العين بالواو وليست شاملة وذلك لان «حول» المصدر لم تتغير الى «حال» كما تغيرت الأفعال قول وحول وصوم الى قال وحال وصام.

٢ ــ ولكن المصدر «حال» قد خضع لنفس القاعدة الصرفية التي حولت الأفعال الثلاثة فجعلت عينها فتحة طويلة ولم تبقها واوا مفتوحة. وتفسير هذا الاختلاف قد يرجع الى اختلاف زمن هذين الاشتقاقين، وربما كانت قاعدة قلب الواو المفتوحة فتحة طويلة عامة تشمل الأفعال والأسماء ثم اقتصر نشاطها فيما بعد على الأفعال دون الأسماء. و بهذا تمثل «حال» المرحلة الأولى وتمثل «حول» المرحلة الثانية.

«حول» الفصحى و «حيل» المصرية:

يلمح القارىء هنا امرا غير طبيعى هو تحول الحركة المزدوجة /او au/ الفصحى الى / بى بى : e/ في المصرية، وذلك على خلاف مقتضى القانون الصوتى الذي تتحول به /او au/ الى / بو بو : o/ اى الى ضمه طويلة مفتوحه كما في صوم / ص او م / وصوم / ص بو بوم/. وتفسير هذا الاختلاف ان / او au/ تحولت الى / اى ai/ وان هذه الأخيرة قد تحولت الى / بو بو : e/ هكذا.

حول / ح اول / ← / حيل / ح اى ل/ ← / حيل / ح بو بو ل/ وفي المصرية ايضا اللفظ «صوت» / ص ــوــوت/ واللفظ «صيت» / ص بى بى ت/ والاول بمعناه في العربية ام الثاني فمعناه شهره.

وعلى فرض أن اللفظ الثاني قد نشأ عن استعمال مجازى للفظ الاول، فستكون النتيجة حدوث التطور على هذا الشكل:

أ ــ صوت (الفصيح) ← صوت (المصرى)/ ص بوــوت/.

ب ــ صوت (الفصيح) ← صيت ← صيت(المصرى)/ ص ى ى ت /.

و يقال هذا بالنسبة للفظين المصريين «طوف» /ط ــوــوف/ وطيف /ط ى ى ف/. ويمكن افتراض أن الأصل الفصيح لهما هو المادة «ط و ف» وعلى هذا يكون التطور على هذا النحو:

أ ــ طوف (فصيح على وزن فعل) ← طوف (المصرى)/ط ــوــوف/
ب ــ طوف (فصيح) طيف (الفصيح) ← طيف (المصرى)/ط ي ي ف/

واختلاط الحركة المزدوجة/ او/ بالحركة المزدوجة/ اى/ أمر شائع في اللهجات العربية القديمة كذلك. ومن ذلك استعمال الأعشى لفظ «خوص» بمعنى كون العين غائرة ولما كانت المادة يائية فقد كان القياس «خيص» ومن ذلك الاستعمال اسم الشاعر المعروف «الاخوص».

ومن أمثلة هذا الاختلاط أيضا قول قبيلة طىء حوث بدلا من حيث و «أنيق» جمع ناقة بدلا من أ نوق (١٦) وما روى عن قول الحجازيين «صيام» بدلا من «صوام» و «صياغ» بدلا من «صواغ». وقول طىء «محيت» بدلا من «محوت» (١٧).

الحركات في آخر الكلمة:

أ ــ الحركات القصيرة:

تخلصت العبرية والآرامية من الحركات القصيرة في آخر الكلمة كما تخلصت السوريانية من الحركات الطويلة الواقعة في آخر الكلمة كذلك (بروكلمان: فقه اللغات السامية ص ٤٦) ومن مظاهر هذا التخلص من الحركات الاعرابية في الساميات فلم يبق ف الحبشية منها سوى الرفع بالضمة /u/ في ألفاظ العدد فقط واتسع نطاق النصب بالفتحة حتى شمل الاضافة وفي العبرية بقيت حالة النصب لتدل على الاتجاه المكانى وفي آرامية العهد القديم بقيت حالة النصب في الظرف والرفع أو الجر أو النصب قبل الضمير المتصل(١٨). أما العربية الفصحى فقد احتفظت بحركات الاعراب مع وجود نزعة للتخلص منها على مانرى:

١ ــ حالة الوقف، و يتخلص فيها من الحركة القصيرة، حيث يوقف على الكلمة بالسكون سواء كانت الحركة الأخيرة بناء أو اعرابا.

٢ ــ دخول هاء السكت على الكلمة المتحركة الآخر الواقعة في آخر الكلام مثل «ماهيه» «سلطانيه»، «مالية» وهذه حالة أخرى من حالات الوقف (١٩).

٣ ــ في غير الوقف يكون للحركة القصيرة دور مقطعي داخل الجملة مثل «كتبِ لْولد».

٤ ــ يقوم التنوين بالحيلولة بين الحركة القصيرة (الاعرابية) و بين وقوعها في آخر الكلمة.

هذا في الاسماء . أما في الأفعال فان حالة الجزم و بناء فعل الأمر ودخول تاء المتكلم والمخاطب وضمير المتكلم والجمع وسواها من نهايات الفعل تمنع انتهاء الفعل بالحركة القصيرة، وان كانت الضمائر نفسها قد تنتهي بحركة.

ب ــ الحركات الطويلة:

في العربية تقصر الحركة الطويلة عند التقائها بساكن وذلك في الأسماء والأفعال والحروف على السواء.

و بالنسبة للأفعال يؤثر الجزم على الفعل المعتل الآخر بحذف حركته الطويلة وابقاء حركة قصيرة أخيرة فيه مثل يسعى، لم يسع، وفي حالتي الرفع تبقى الحركة الطويلة الأخيرة في الفعل مثل يسعى و يرمى و يدعو.

وفي حالة النصب تبقى الفتحة الطويلة في آخر الفعل أو ينتهي بفتح الواو أو الياء مثل لن يسعى، لن يرميَ ولن يدعوَ، والفعل الاول معتل بالالف والثاني بالياء والثالث بالواو.

وفي الأسماء المعتلة الآخر، تظل الحركة الطويلة على طولها اذا كان الاسم معرفا بأل، فاذا كان غير معرف بأل بقيت الحركة الطويلة في الاسم المعتل بالالف المرفوع مثل «جاء عيسى» أما الاسم المرفوع المعتل بالياء فان الحركة تقصر ويحل محلها تنوين مثل جاء قاضٍ. وذلك اذا كان الاسم غير مضاف فاذا كان مضافا بقيت الحركة الطويلة. واذا كان الاسم منصوبا بقيت الحركة الطويلة في الاسم المعتل بالالف وانتهى الاسم بحركة النصب القصيرة اذا كان معتلا بالباء.

الواو الأخيرة:

هذا ولا ينتهى الاسم في العربية بالضمة الطويلة التي تمثل وا وا أصلية في الكلمة. ولم يبق في العربية سوى الأسماء الخمسة ممثلة للكلمات التي تنتهى بأصل واوى. ونظرا لأن هذه الأسماء تكون بعد سقوط الاصل الثالث على حرفين فانها تنتهى بحركة طويلة اذا اتصلت بالضمير أو أضيفت لاسم ظاهر. أما اذا اتصلت بأل أو نونت فان الضمة الطويلة الأخيرة تسقط، مثل «الأب» و «اب».

والكلمات من مثل «دلو» و«شأو» تمثل أصلا اسميا ثلاثيا معتلا بالواو ولكنه ليس حركة طويلة. ومن هنا تعامل الواو معاملة الساكن. ولم يبق في العربية واو في آخر الكلمة الا واو الجمع السالم المذكر وتكون في آخر الكلمة عند الاضافة ولكن النون تحول بينها وبين هذا الموقع في غير ذلك.

وبالنسبة للأفعال لا توجد الضمة الطويلة في نهاية الفعل الماضى أو فعل الامر، الا اذا كانت مؤشرا (exponant) لواو الجماعة أى ذات وظيفة صرفية ونحوية. وفي الفعل المضارع تحول النون بين الضمة الطويلة وبين وقوعها في آخر الكلمة اذا انتهى الفعل بواو الجماعة مثل يكتبون. وبالنسبة للفعل المعتل بالواو، قد مر بك أن هذه الواو لا تبقى في حالة الجزم وتكون مفتوحة في حالة النصب.

وفي الضمائر المتصلة والمنفصلة حال دون وجود الضمة الطويلة اخيرة وجود ميم بعد الضمة القصيرة وهي مؤشر لواو الجماعة وذلك مثل«هم»متصلة ومنفصلة و «كم» المتصلة في لكم ورأيتكم وكتابكم الخ.

وهكذا نجد نزعة واضحة في العربية الفصحى الى التخلص من الحركة الطويلة في آخر الكلمة وخاصة الضمة الطويلة. والى التقليل من مجال الحركة القصيرة آخر الكلمة بالوقف وهاء السكت وجزم الفعل.

مثل هذه الامور استمرار لنزعات كانت موجودة في اللغات السامية القديمة وخاصة مايتصل بالضمة الطويلة في الآخر، ففيها نفس ظاهرة الأسماء الخمسة العربية، كما سقطت الحركة الطويلة من آخر الكلمة في بعضها، بل وتخلص أغلبها من الحركة الاعرابية الأخيرة.

وفي اللهجات العربية الحديثة استمر نفس الاتجاه، وتمثل ذلك في ظاهرتين هامتين في اللهجة المصرية نذكرهما هنا:

١ ــ لا تتمثل واو الجمع في فعل الماضي ولا فعل الأمر أو المضارع بالضمة الطويلة، بل بضمة قصيرة بعدها ميم ساكنه، و بذلك لا تقع الحركة في آخر الكلمة. مثل ضربم (بدلا من ضربوا في الفصحى) واضربم (بدلا من اضربوا) و يضربم (بدلا من يضربو ن) كما أن كلمة «فم» الفصحى التي تكون «فو» في الوصل تظل الميم موجودة فيها فيما بقى من هذه الكلمة في المصرية مثال ذلك «فم السجارة» فلا يقال «فو السجارة»(٢٠).

٢ ــ تخلصت اللهجات الحديثة من الاعراب، و بالتالى فان كلماتها في الغالب تنتهى بالسكون. وقد كان للتخلص من الاعراب أثره البالغ على النظم اللغوية في هذه اللهجات. ولعل من أهم آثار ذلك انقراض المفردات ذات الوظيفة الاعرابية مثل ليس ولن وان وأخواتها وتغير استعمال ما بقى منها مثل «لم» التي تستعمل في بعض القرى المصرية للنفى ولكنها تدخل على الماضى لا على المضارع.

أود هنا أن أكرر أن ماحدث في العربية وماحدث في اللهجات العربية الحديثة بصفة خاصة هو استمرار لنفس الظاهرة السامية القديمة.

على، الى، لدى، لبى

لعل مما يلفت النظر أن الفتحة الطويلة في آخر هذه الكلمات تتحول الى حركة مزدوجة (اى) اذا لحق الضمير المتصل بالكلمة ولكنها تظل فتحة طويلة اذا ولى الكلمة اسم ظاهر هكذا.

الى ــ اليك ــ الى الناس

على ــ عليك ــ على الناس

لدى ــ لديك ــ لدى الناس

لبى ــ لبيك ــ لبى نداء ربه

ولتفسير هذا السلوك غير المتوقع، نذكر أن عددا من الكلمات المنتهية بفتحة طويلة عندما تضاف لياء المتكلم تسلك نفس سلوك الى وعلى الخ. ومن هذه «عصى» و «محيى» و «بشرى» و «هدى».

وقد وردت في القراءات القرآنية «هذه عصى» و «محيى» و «يا بشرى» و «هدى» الخ. و يرجع رابين هذا الى أنه بقية من لهجة هذيل، التي لم يقتصر فيها تغير الفتحة الطويلة لياء مشددة على حالة الاضافة لياء المتكلم بل شمل كذلك بقية الضمائر فيقال فيها قفا، قفيك (قفاك) قفى (قفاى) قفيه (قفاه) الخ.(٢١) أما عندما لا تنتهى هذه الكلمات بضمير متصل فان الفتحة الطويلة الأخيرة تظل على حالها فيقال قفا محمد و «عصى محمد».

هذا وقد وردت «الى» و «على» متصلة بالضمير المتصل مع بقاء الفتحة الطويلة حيث قيل «ألاك» و «علاك» بدلا من «اليك» و «عليك» ومن ذلك قول الشاعر:

أى قلوص راكب تراها شالوا علاهن فشل علاها(٢٢)

و يقال في لهجة بغداد المعاصرة عبارة «قلت لك الك» (أى قلت لك مع نوع من التأكيد وفيها تستعمل لام الجر و بعدها الى الجارة مع الاحتفاظ بالفتحة ــ وتقصيرها ــ في حالة اتصالها بالضمير. ولعل هذا بقية من الاستعمال الذي يبيح ألاك».

كلا وكلتا:

يقول النحاة بأن «كلا» و «كلتا» ملحقتان بالمثنى. وهذا القول سليم من وجهة نظر الاعرابية حيث أنهما من ناحية يعربان اعراب المثنى ومن ناحية أخرى فان هذا الالحاق أو المحاكاة anology أمر طارىء بالضرورة وسلوك الفتحة الطويلة الأخيرة في كلا (وكلتا) مشابه لسلوكها في «على» و «الى» حيث تصير «ياء» عند اتصالها بالضمير، (فيقال «كليهما» كما يقال «عليهما» وان كان هذا التغير مع «عليهما» على اطلاقه بينما هو مع «كليهما» مقصور على حالة الجر والنصب) أما

اذا وقع بعدها اسم ظاهر فان الفتحة الطويلة تبقى فيقال «على الولد» و «كلا الولدين».

هذا ويحتمل أن يكون تفسير هذا التغير في «كلا» نتيجة لنفس العامل الذي سببه في «على» و «الى» الخ أى أنه تأثير لهجة هذيل وان كنا نميل الى تفسير سيبويه الذي قال بأن «كلا» على وزن «فعال» أى «كلاء» وأن همزتها الأخيرة قد سقطت. و يؤيد رابين (١٩٥١، ٨٨) رأى سيبويه بأن «كلا» قد احتفظت بالهمزة في لغات سامية أخرى فهي في الأ وجاريتية كلأت / كل اءت/وفي الأثيوبية كلى ء/ ل ء ل ي ي/ كما توجد في العبرية في صيغة المثنى كلأ يم / ك ى ل ء اى ى ى م/. ولو قبلنا رأى سيبويه بأن أصل «كلا» هو «كلاء» أى بألف ممدودة فان هذا يعنى أن الهمزة قد سقطت كما قد تسقط في «سما» من «سماء» وأن سقوطها قد أدى الى الصيغة المنتهية بالفتحة الطويلة «كلا» هذا على فرض كون الهمزة قد سقطت من «كلاء» في حالة الرفع أو النصب لعدم امكان ضم الألف «الفتحة الطويلة» ولأن حركة النصب «الفتحة» هي نفس الحركة التي تنتهى بها «كلا» بعد سقوط الهمزة. أما في حالة الجر كلاء/ك ـــى ل اءى/ فان تخفيف المهمزة الى ياء قبل الكسرة كثير و بهذا نحصل على الصيغة «كلاى» ولا فرق بينها و بين «كلى» سوى قصر الحركة.

وهذا التغير الأخير قد خرج بالحركة الأخيرة في «كلا» من كونها جزءا من صيغة الكلمة الى كونها علامة اعرابية كما حدث في حركة الأسماء الخمسة. و بهذا يكون الجزء الباقى من الكلمة هو «كل» وقد لحقتها تاء التأنيث بعد اللام فانتهينا الى كلاهما: كليهما وكلتاهما وكلتيهما و بالمحاكاة حيث لحقت التاء بين اللام والفتحة في «كلا» و «كلتا» عند اضافتهما للاسم الظاهر.

ب ــ المفردات

سنقتصر هنا على عدد قليل من الأمثلة لبيان امكان الاستفادة مما يسجله تاريخ اللغات السامية والعربية ولهجاتها في تفسير أصول المفردات وارتباط بعضها ببعض.

١ ــ أعطى ــ أنطى ــ ادى/ ء ى ددا/

هذه الأفعال الثلاثة في صيغة الماضى وهي بمعنى واحد والأول منها فصيح والثانى يوجد في العراق والكويت وبعض مناطق سوريا أما الأخير فهو النظير المصرى لهما. ترى هل هناك اشتراك تاريخى بينها؟ بمعنى أنها من أصل واحد وأن الفرق بينها راجع الى تطورات صوتية تاريخية.

يذكر موسكاتى(٢٣)، أن الفعل الأكادى اندن/ى ن د ى ن/ تدغم نونه في الدال وتصير أدن /ى د د ى ن/. وقد يفسر هذا أصل الفعل المصرى «ادى» كما يفسر أصل الفعل الفصيح «ادى اليمين» و «أدى الدين». أما الفعل «انطى» فقد يمثل الأصل «أندن» بدون ادغام ولكن بهمس الدال وبسقوط النون الأخيرة منه. ومن هذا الفعل الفصيح «ناط» في «ناط به الأمر» أى «وكله اليه» وهو يوجد في العبرية كذلك على صورة «ناتا»/ ن ات اا/.

اما علاقة «ناط» و «أنطى» بأعطى فيفسرها رابين أحد تفسيرين أولهما صوتى ومقتضاه أن العين العبرية كانت تنطق وفيها صفة الأنفية في بعض المواقع وأن العين في هذه الكلمة قد خففت وبقيت صفة الأنفية التي عنها نشأت النون. وهذا الفرض يقتضى أن تكون «أعطى» أسبق من «أنطى». أما التفسير الآخر الذي يرجحه فهو أن «أنطى» هي الصيغة الأقدم. وذلك لأن الصيغة ذات النون توجد في عدد من اللهجات العربية القديمة كما توجد صيغة أخرى بالميم مكان النون في الحبشية /م ا ط ا و ا/ والأمهرية /ا م ا ط ط ا/ ولو صح هذا فان مظنة كون النون عينا (كما ذكرنا) ستكون السبب في أخذ أعطى من أنطى وليس العكس.

«ليت» و «رأيت»

الأول من هذين اللفظين حرف من اخوات «ان» والثاني فعل ماض. والقول بأن الثانى أصل تاريخى للأول يقوم على عدد من الحقائق التاريخية والمعاصرة ومن هذه الأسباب مايأتى:

١ ــ ان سقوط همزة «رأيت» سيؤدى الى ريت/ر ا ى ت/.

٢ ــ ان تغير الحركة المزدوجة / اى/ الى/ـى ـى/ سيؤدى الى أن تصير «ريت» «ريت» /ر ـى ـى ت/.

٣ ــ ان استعمال ياء النداء مع الفعل «ترى» في المثال «ياترى» يفسر استعمالها في «ريت» في المثال المصرى والعراقى «ياريت».

٤ ــ ان اللهجة العراقية تقول «ياليت» و «ياريت» في نفس الوقت أى أنها تربط بين الصيغة ذات الراء وذات اللام.

نتعرض لعدد من المفردات التي تبدو غريبة لشخص أو آخر نظرا لعدم ارتباطها بمفردات أخرى من نفس مادتها ومعناها ومن هذه:

أ ــ عليل في العبارة «نسيم عليل» وهذا اللفظ يناظر/ع ل ـى ـى ل/ في الآرامية بمعنى «صاف» أو «نقى» وهو مناسب للمعنى العربي.

ب ــ ناطور في السورية والكويتية بمعنى حارس وفي السوريانية لفظ / ي ط ط ـور/ بنفس المعنى وهو من الأصل السامى «ن ت ر» و يستعمل اللفظ في المصرية العلمية في عبارة واحدة «واقف زى الناطور» بمعنى أنه مستقيم لا يتحرك ولا فائدة منه.

جـ ــ عامود ــ ومادة هذا اللفظ توجد في العبرية ومنه /ى ا ع م ـود/ بمعنى يقف.

د ــ تكبد ـ كابد ـ في الفصحى، وهما فعلان مزيدان وتوجد الصيغة المجردة لهما في اللهجات السامية الغربية «ك ب د» بمعنى الثقل.

هـ ــ الكلمة المصرية «ترتر» بمعنى قطع زجاجية رقيقة ومستديرة تزين بها أربطة الرأس والثياب التي تستعملها النساء. وقد يكون لهذا اللفظ علاقة باللفظ الأكادى/ ت ى ت ءا ر و/ بمعنى «لمعان».

و ــ سنسلة وهي طريقة أخرى لنطق «سلسلة» في اللهجة المصرية وهذا اللفظ يوجد في الحبشية بالنون / س ان س ال /.

ز ــ دبس، وهو لفظ غريب على المصريين خاصة ولكنه شائع في العراق والكويت، وهو العصير الحلو المتخلف عن تجفيف التمر. و يوجد اللفظ في الأكادية مع قلب مكانى/ د ى ش ب و/ بمعنى عسل.

ح ــ لا وليس ولات:

«لا» أداة النفى في اللغات السامية كلها. وأما «ليس» العربية فانها مكونة من «لا» و «ايس» وهي فعل الكينونة الذي يناظر «ييش» /ى بى بى ش/ العبرية بمعنى «يوجد» وأما «لات» فانها مكونة كذلك من «لا» داخلة على فعل الكينونة /ء ـــى ـــى ت/ في السوريانية وقد كونت معها /ل اى ت/ ومعناه في السوريانية «لايوجد». ويمكن القول بأن العربية قد اقترضت الصيغة السوريانية وحولتها الى «لات».

وبواسطة المحاكاة analogy أصبحت «لات» أداة نفى خاصة بالمؤنث واستعملت لنفى الزمن المؤنث في مثل «لات ساعة ندم» حيث اعتبرت التاء في «لات» العربية تاء التأنيث وأصبح في العربية المقابلة(٢٤) لا (لنفى الزمن المذكر) مثل «لا وقت عندى» ولات لنفى الزمن المؤنث مثل «لات ساعة ندم».

وأود أن أؤكد هنا أن هذه العلاقات بين الألفاظ العربية والسامية التي أشرت اليها، ليست سوى مجرد فروض تتطلب البحث والدراسة.

جـ ـ الصرف

يرجع موسكاتى التغير الصرفى الى عاملين رئيسيين وعامل ثانوى أما العاملان الرئيسيان فهما التغيرات الصوتية والمحاكاة.

وأما العامل الثانوى فهو تأثير القواعد النحوية التي وضعها القدماء والتي تعلم للتلاميذ في المدارس اليوم.

وقد مر بنا عند الحديث عن الأصوات أمثلة متعددة للتغيرات الصوتية وكيف أثرت على الصورة الصرفية للكلمة، فسقوط الهمزة قد أثر في التأنيث في المصرية وفي نشأة كلمة «ليت» من رأيت أما المحاكاة فقد بدا أثرها في كلا ومؤنثها «كلتا». وأما تأثير القاعدة النحوية فمثاله اعتبار ألف التأنيث المقصورة والممدودة أداتين للتأنيث الى جانب هاء التأنيث مع أنهما في الواقع جزء من صيغتى «فعلاء» و «فعلى» وما قد ينتج عن هذا الرأى من تطبيقات حديثة قد لا تكون فيها الألف المقصورة أو الممدودة بالضرورة جزءا من الوزن.

وبناء الكلمة الصرفى في الساميات، يقوم على عنصرين المادة والوزن. ويختص بعض أنواع الكلمات ــ أو بالأدق المفهومات اللغوية ــ بأوزان معينة. كما قد يكون البناء الصرفى نتيجة لمجرد اضافة سوابق أو لواحق للكلمة، أو لتغير داخلى في الأصوات التي تتكون منها الكلمة إذا ما قورنت بكلمة أخرى من نفس المادة مثل كتاب وكتب ومن ذلك:

١ ــ لاحقة التأنيث في الأسماء هي مايسمى بهاء التأنيث التي تصير تاء في الوصل وفي الأفعال هي التاء في أول المضارع المؤنث الغائب المفرد والمثنى في مثل «هي تكتب» «هما تكتبان» وذلك على العكس من التاء في أول المضارع المخاطب والمؤنث والجمع، حيث يتميز التأنيث عن التذكير باللاحقة «النون» لا بالسابقة التاء التي تستعمل مع المخاطب مذكرا أو مؤنثا. و يشارك الفعل الماضى الاسم في أن علامة التأنيث (التاء أو الهاء) تلحق آخر الكلمة. وقد ينهض هذا دليلا على الرأى القائل بأن صيغة الماضى العربية، كانت في الأصل صيغة اسمية تدل على الاتصاف بالحدث الثابت(٢٥).

وقد جد على العربية ــ في رأى بروكلمان ــ التأنيث بالألف المقصورة والممدودة وهما تطوران صوتيان لتاء التأنيث هكذا:

ا ت ←——— ا ←——— اه ←——— اا ←——— االه مثل

حمرت ←——— حمر ←——— حمره ←——— حمرا ←——— حمراء.

أى سقوط التاء وبقاء الفتحة ثم زيادة هاء السكت ثم سقوط هاء السكت والاستعاضة عنها بطول الحركة ثم زيادة الهمزة في الآخر.

وهذا أمر جديد خالفت به العربية الساميات الأخرى. و بواسطة التغيرات الصوتية رأيت فيما سبق كيف أن المصرية قد رجعت الى الوضع السامى. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد تخلصت المصرية من وزن فعلى في صياغة اسم التفضيل مثال ذلك:

العربية الفصحى	العامية المصرية
محمد أكبر الأولاد	محمد أكبر لِولاد
فاطمة كبرى البنات	فاطمة أكبر البنات

وفي الكويت لا تتحول تاء التأنيث الى هاء في آخر الاسم عند الوقف اذا وقعت بعد فتحة طويلة فيقولون «صلات زكات» بالتاء لا بالهاء. أى أن هذه اللهجة قد حافظت على الظاهرة السامية التي تخلت عنها الفصحى.

٢ ــ لاحقة الجمع:

تلحق العربية الفصحى ولهجاتها لاحقة بالأسماء والأفعال لافادة معنى الجمع، كما تفعل اللغات السامية الاخرى. ولاحقة الجمع في السامية الأم هي /وون/ في الرفع و/ ى ى ن/ في النصب والجر كما في العربية. وفي الأثيوبية تمثل اللاحقة /اان/ (الالف والنون) لاحقة الجمع المذكر واللاحقة /ات/ لاحقة الجمع المؤنث مثل صادقان (بمعنى صادقون) وصادقات (صادقات العربية). أما الأكادية فانها تستعمل كذلك اللاحقة الأثيوبية /اان/ ولكن باضافة ضمة طويلة اليها /اان وو/ في حالة الرفع وكسره طويلة في حالة النصب والجر/اا ن ى ى/ مثل/ ص ا رر و/ (بمعنى ملك) /ص ا رر اا ن وو/ (بمعنى ملوك في حالة الرفع) و/ ص ا رراان ى ى/ (بمعنى ملوك في حالة النصب والجر). أما السوريانية(٢٦) فانها تجمع بين الألف والنون الأثيوبية والياء والنون مثل ربّا /ر ا ب ب اا/ (بمعنى سيد) و /راب ب اا ن ـــي ـــي ن/ بمعنى «أسياد».

وبالنسبة للهجات العربية الحديثة فقد اقتصرت على لاحقة واحدة لجمع المذكر هى /ى ى ن/ وذلك بعد أن تخلصت من الحالات الاعرابية، مثل «مسلمين». واللهجات العربية في هذا تشبه العبرية التي تكتفى باللاحقة «ياء ونون» في جميع حالات جمع المذكر، والسوريانية التي تقتصر على الياء والنون بالاضافة للألف والنون. أما لاحقة جمع المؤنث فهى/ ات/ كما في العربية وتحل هذه اللاحقة محل لاحقة المؤنث المفرد في الاسم/ ات/ مثل ملك/ م ا ل ك/ ملكت/ م ا ل ى ك ا ت/ وملكات/ م ا ل ى ك اات/. و يقرر موسكاتى أن عددا من اللغات السامية قد وسعت نطاق استعمال

لاحقة الجمع المؤنث بحيث شملت بعض الأسماء المذكرة والأسماء التي لا تدل على مذكر ولا مؤنث. مثال ذلك:

أ ــ الاكادية وفيها:

١ ــ خران (بمعنى طريق)/خ ا رر اا ن و/و/خ اررااان ااات و/ بمعنى «طرق».

٢ ــ اكارو (بمعنى فلاح) /ى ك ك اا رو/و/ى ك ك اارات و/ بمعنى «فلاحون».

ب ــ السوريانية وفيها:

١ ــ آسيا «بمعنى طبيب»/ءاا س ى اا/و/ءاس ا وو اا ت اا/ (بمعنى أطباء).

٢ ــ حقلا/ح ا ق ل اا/ بمعنى حقل وحقلا تا/ ح ا ق ل اا ت اا/ بمعنى حقول.

جـ ــ الأثيوبية وفيها تستعمل اللاحقة/ات/ لجمع المذكر (موسكاتى: ٨٧ ــ ٨٨) بكثرة حتى كادت تغلب على اللاحقة/ان/ التي لجمع المذكر ومثل هذه الظاهرة الأخيرة ــ أى استعمال/ ات/ لصيغة الجمع غير المؤنث تشيع في اللهجات المعاصرة لجمع غير العاقل خاصة في المفردات المقترضة مثل تلفونات، تلغرافات، ماكينات الخ.

وفي الأفعال العربية تتصل لاحقة الجمع بصيغتى الماضى والمضارع والامر المخاطب والغائب ولكنها دائما الواو والنون، فلا تتغير الى ياء ونون كما تتغير في الاسم. ولكن النون الأخيرة تسقط من المضارع عند النصب والجزم ولا توجد في صيغتى الماضى أو الأمر.

كتبوا ــ اكتبوا ــ يكتبون ــ لم يكتبوا ــ لن يكتبوا

وقد مر بك أن المصرية قد جعلت ضمة واو الجماعة قصيرة واتبعتها عند الوقف بالميم الساكنة، وذلك مثل «كتبم»، «يكتبم» و «اكتبم» والمصرية هنا تستعمل الميم بدلا من النون، كما فعلت بعض اللغات السامية التي ألحقت واو الجمع بالميم في الأسماء والأفعال.

لاحقة التثنية:

تستعمل صيغة المثنى في الأسماء للازواج الطبيعية كاليدين والرجلين

والعينين. وقد اتسع استعمال المثنى في اللغات السامية عن هذا النطاق الى التعبير عن الازدواج الطبيعي وغير الطبيعي. و يشيع استعمال صيغ التثنية في الأرجراتينية والأكادية القديمة والعربية ولكنه قليل في اللغات السامية الأخرى.

ولاحقة التثنية في الساميات هي الألف في حالة الرفع/ا/ والياء في حالتى النصب والجر/اى/ وقد أضافت العربية النون المكسورة الى هذه اللاصقة فصارت/اان ى/ في الرفع و/ا ى ن ى/ في النصب والجر(موسكاتى: ٩٢).

أما الأكادية فقد أضافت النون ولكن بدون كسرة (وقد سقطت هذه النون في اللهجة الحديثة) وحولت الحركة المزدوجة/اى/ الى حركة طويلة نصف مفتوحة طويلة /ي ي/ مثل «سناسو» /س ـــى ن ن ا س ـــو/ أى «أسنان»(٢٧) وبالتدريج فقدت الأكادية التفريق بين حالة الرفع وحالتى النصب والجر فاقتصرت على استعمال الياء والنون (أو الياء فقط) في جميع الحالات الاعرابية.

واللهجات العربية الحديثة تشبه الأكادية في أمرين:

١ ــ كون الحركة في لاحقة التأنيث حركة نصف متسعة أمامية وليست حركة مزدوجة أى أن/ اى ن/ صارت / ىى ن/ في الأكادية واللهجات العربية.

٢ ــ التخلص من الكسرة التي بعد النون:

وتتصل لاحقة التثنية بالصيغ الفعلية في العربية الفصحى كذلك، سواء كانت ماضية أو مضارعة أو أمرا. ولكن اللاحقة تلزم صورة واحدة وهي الألف والنون المكسورة. هذا ولا توجد النون في صيغة المضارع المجزوم أو المنصوب كما لا توجد في صيغتى الماضى والأمر.

ولا تلحق لاحقة التثنية الأفعال في اللغات السامية فيما عدا الأكادية على قلة والأوجاريتية.

أما اللهجات العربية المعاصرة فقد سارت مسار بقية اللغات السامية ــ مخالفة العربية ــ فلم تصل الفعل بلاحقة التثنية بل بلاحقة الجمع مثل «محمد وعلى سافرم».

رأيت من قبل كيف تختلط اللاحقتان ذات الألف وذات الواو فقد استعملت الأثيوبية اللاحقة ذات الألف للجمع بينما هي تستعمل في العربية (وعدد من الساميات) للمثنى. ولكن العربية تستعمل اللاحقة «ان» للجمع كالحبشية في بعض كلماتها مثل «ديدان» جمع «دودة» و «عيدان» «جمع» «عود» «وعمدان» جمع «عمود».

ورأيت كيف تستعمل بعض اللغات السامية اللاحقة «ات» لغير المؤنث الى جانب استعمالها للمؤنث، وكيف أن اللهجات العربية الحديثة قد اتسعت في استعمالها حتى لبعض الأسماء المذكرة.

أما اللاحقة «ون» فقد رأيت كيف تخلصت منها اللهجات العربية الحديثة اكتفاء باللاحقة/ين/ للجمع.

وفي المصرية لا يجمع بالياء والنون سوى الصفات أما الاعلام فلا تجمع باضافة هذه اللاحقة، بل أنه في المصرية يقال «كل البرابرة محمدات» بجمع «محمد» المذكر بالألف والتاء، بمعنى أن أغلب النوبيين يسمون بمحمد.

أما التثنية فانها لا تشيع في الاعلام في المصرية فيما عدا الاعلام المثناة التي تستعمل علما مغايرا لمفردها مثل «حسن» «وحسنين» و «محمد» و «محمدين». ولكن التثنية ممكنه في الأسماء الدالة على ذوات مثل كتابين و «كرسين» وممتنعة في الصفات حيث تلزم هذه صيغة الجمع ولو كانت وصفا لمثنى فلا يقال «كبيرين» و «صغيرين» مثل «فيه ولدين كبار في الشارع».

في الأفعال لا توجد لاحقة التثنية في المصرية، بل تستعمل صيغة الجمع بدلا منها ولو كان المسند اليه مثنى فيقال «ايديه» (يداه) وجعوه أو صيغة المفرد المؤنث فيقال «ايديه وجعته».

ومايحدث في المصرية يمثل على ما اعرف مايحدث في اللهجات الحديثة الأخرى.

المبنى للمجهول:
في العربية صيغتان لاسناد الحدث للمفعول في المعنى احداهما صيغة فعلية

تعرف باسم المبنى للمجهول والأخرى اسمية تعرف بـــ «اسم المفعول» وذلك الى جانب صيغة فعلية أخرى هي التي تسمى بصيغة المطاوعة، مثل ضُرِب (و يُضْرَبَ) ومضروب وانضرب.

وقد اكتفت الآرامية والسوريانية بصيغة اسم المفعول عن صيغة الفعل المبنى للمجهول ولم تستعمل العبرية الفعل المبنى للمجهول الا مع الفعل المزيد بالهاء (أى ما يناظر في العربية المزيد بالهمزة) أو مضعف العين (مثل قتل). أما بقية اللغات السامية الأخرى فقد اكتفت عن المبنى للمجهول بصيغة المطاوعة (انفعل) أو بصيغة فعلية أخرى (٢٨).

وقد تبعت اللهجة المصرية بقية اللغات السامية فتخلصت من صيغة المبنى للمجهول واكتفت بصيغة المطاوعة. مثل «انكسر» «اذ لا يوجد بالمصرية كسر».

هذا وفي المصرية بقايا من وزن «فُعِل» المبنى للمجهول مثل «غلب» و و «قطع». وقد جرى في مثل هذه الأفعال انسجام الحركتين فاصبحتا ضمتين بدلا من ضمة وكسرة.

وتعبر هذه الأفعال عن حالة نفسية أو صفة ثابتة ولا تدل على معنى البناء للمجهول العربى.

ولما كان في المصرية وزن فعلى آخر للدلالة على وصف ثابت أصبح فيها تبعاً لهذا التغير الذي أشرنا اليه وزنان لهذا المعنى هما:

١ ــ فُعُل ــ بضم الفاء والعين مثل

غلب ــ زهق ــ قطع.

٢ ــ فِعِل بكسر الفاء والعين وهو مأخوذ عن الوزن الفصيح فعل مثل «فرح»، «علم» بعد انسجام الفتحة في الفاء والكسرة في العين.

وهذا الوزن الأخير أقوى من السابق فكثيرا ما تتحول الأفعال المضمومة اليه فيقال «غلب» و «زهق»/ ز ى هـ ى ء/ و /غ ى ل ى ب/.

وقد حدث انسجام في الحركات كذلك في الصفات التي أخذت عن وزن فَعِل الفصيح فصار الوزن فِعِل وذلك مثل:

عَفِن ← عِفِن ، سَمِج ← سِمِج

وبَرِح ← بِرِح ، نَتِن ← نِتِن

التركيبات النحوية

التركيبات النحوية تمثل علاقات بين كلمات ذات صفات معينة تميزها عن سواها وقد تكون هذه الصفات دلالية أو شكلية formal ولو فرض أن تغير مفهوم هذه الكلمات أو شكلها، فستكون النتيجة أحيانا تغير العلاقة التي تقوم بينها و بين سواها من الكلمات كما تتغير المؤشرات المادية exponants التي تميز هذه العلاقات و بالتالى فسيحدث تغير في التركيب كله.

واذا صح ما نقلنا ــ عن موسكاتى ــ أن التغير الصرفى نتيجة للتغيرات الصوتية والمحاكاة analogy فان التغيرات النحوية نتيجة للتغيرات الصرفية التي تنتهى بتغير المفردات، بالاضافة الى نشاط المحاكاة أيضا، مما قد ينتهى الى علاقات نحوية جديدة.

وأول مايلفت النظر في الاختلاف النحوى بين العربية ولهجاتها سقوط الاعراب. وقد أدى هذا كما سبق ان ذكرنا الى سقوط عدد كبير من المفردات ذات الوظيفة الاعرابية، وحلول مفردات جديدة محلها للقيام بدورها التركيبى والدلالى. وهذا هو ما سنناقشه فيما بقى من مجال محدود في هذا البحث.

١ ــ اتحاد الموقع والموضع:

يتحتم على دارس العربية الفصحى التفريق بين موقع الكلمة وموضعها فالموقع أمر تركيبى يمثل علاقة كلمة بأخرى.

أما الموضع فهو مكان الكلمة من العبارة تقديما أو تأخيرا أو توسطا، لسبب بلاغى كالتأكيد أو تناسق جرس الجمل، أو لسبب نحوى على ماسترى من أمثلة:

في الدار رجل وفي الشارع محمد

وقد تقدم الجار والمجرور (الخبر) على «رجل» لأنه نكره و بالتالى لايصح الابتداء به أما في الجملة المعطوفة فان تقدم الجار والمجرور هدفه تناسق الجرس بين الجملتين.

ضرب محمد عليا ــ عليا ضرب محمد

وتقديم المفعول هنا للتأكيد. وهذا التقديم أو التأخير لا علاقة له بموقع الكلمة الاعرابى الذي يميز بالعلامة الاعرابية.

و بسقوط الحركات الاعرابية من اللهجات العامية أصبح للكلمات موضع معين في الجملة قد يسبب تغيره تغير العلاقة النحو ية بينها و بين مايجاورها مثل:

محمد ضرب على وعلى ضرب محمد

وهذا هو مانعنيه باتحاد الموقع والموضع، حيث أن الموضع المتقدم على الفعل في المثالين يعنى الفاعلية والمتأخر يعنى المفعولية.وترتيب الكلمات في الجمل word order من أهم المسائل التي تهتم بها الدراسة البنائية للغة. وهذا يعنى أن بناء اللهجات العر بية المعاصرة يختلف اختلافا أساسيا عن بناء العر بية الفصحى.

أما التغيرات الصوتية ذات الأثر الخطير في النحو ــ أى قواعد بناء الجملة ــ فهي تلك التي تتصل بالأدوات operators فقد تسبب التغيرات الصوتية تغير اسم أو فعل الى أداة أو تغير أداة الى اسم أوفعل أو تغير أداة أو مجموعة من الكلمات الى أداة أخرى. وسنناقش فيما يلى عددا من مظاهر التغيرات النحو ية في هذا الضوء.

أولا:

التعبير العر بى الفصيح «ماأنا بقائم» يشتمل على خبر بعد حرف الجر «الباء» و بفعل ظاهرة المحاكاة حدث خطأ في تقسيم الكلمات في اللهجة العر بية السعودية فاعتبرت «قائم» خبرا للضمير واعتبرت الباء لاحقة للضمير تفيد النفى.

و بهذا وجد للضمير المنفصل صيغتان صيغة الا ثبات وصيغة النفى وهما:

أنا ما ناب (لست)

أنت مانتاب (لست)

هو ماهوب (ليس)

ولوجود هذا النوع من الضمير المنفى سقط استعمال (٢٩) «ليس» ومايلزم عن استعمالها من اعتبارات نحوية معروفة.

ثانيا:

في اللهجة المصرية وفي عدد من اللهجات العربية الأخرى، حدثت نفس الظاهرة في المثال «جاء بالكتاب» حيث قسم الى «جاب» و «الكتاب» ونشأ عن هذا فعل جديد في هذه اللهجات وتغيرت العلاقة في الجملة الى علاقة الفعل بالمفعول وذلك بدلا من علاقة الفعل بالجار والمجرور.

ثالثا:

«أين» اسم الاستفهام في العربية الفصحى. وقد تغير صوتيا الى «فين» في المصرية (ولعل أصلها فأين) والى «و ين» (وأين) في لهجات أخرى. وقد صاحب هذا التغير تغير نحوى (وصرفى) آخر هو اتصالها بالضمير مثل «فينك» «وو ينك» وبطبيعة الحال يختلف التحليل الاعرابى لهذين التركيبين الجديدين عن تحليل الجملة العربية «أين محمد» اذ لا يمكن في المثالين العاميين وجود علاقة المبتدأ والخبر. وقد سببت ظاهرة المحاكاة هذا التغير حيث تشتبه «فين» و «و ين» بالحروف والظروف فامكن اتصال الضمير بهما، أى أن «فينك» قد قيست «بعدك» و «عندك».

رابعا: ان وأخواتها:

الأصل التاريخي للحرف «أن» هو المادة الفعلية «ء ن ن» بمعنى ينظر(٣٠). وقد انقرضت المادة المجردة من العربية الفصحى وبقيت المادة المزيدة في «تأنى». وتوجد المادة المجردة في اللهجة المصرية في صيغتى الماضى والمضارع مثل «أن في» و «يئن في» (أو يؤن) بمعنى ينظر الى نظرة فاحصة(٣١).

واخوات «ان» ليست سوى ألفاظ أخذت من «أن» بالهمزة المفتوحة فهى «كأن» التي تتكون من كاف التشبيه وبعدها «أن» و «لعل» وتتكون من لام

التأكيد وبعدها «أن» المفتوحة ولكن بنطق النون لاما والهمزة عينا. وقد نطقت (لعل) بالنون (٣٢) «لعن» مما يدل على أن النون هى أصل اللام.

وأما «لكن» فتتكون من «لا» و «كأن» بعد سقوط الهمزة وقد مر بك من قبل كيف أن «ليت» تمثل تغيرا صوتيا للفعل «رأيت».

المهم أن كل هذه التغيرات الصوتية قد أدت الى مجموعة من الأدوات ذات السلوك النحوى المتشابه، الذي يتمثل في نصب المبتدأ ورفع الخبر، أما لماذا نصب المبتدأ، فلأنه كان يمثل مفعولا في المرحلة القديمة التي كانت فيها «أن» فعلا وذلك بافتراض أن العبارة كانت في الأصل «ان أنا واقف» (انظر. أنا واقف).

وبانقراض الفعل المجرد اشتبهت «ان» بالحرف فاتصل بها الضمير فصارت العبارة «انى واقف». وهذا التحول من حالة المسند اليه الى حالة المفعولية شبيه بتحول المسند اليه الى مفعول «ظن» و «علم» مثل «ظن أنا واقف» ← «ظننى واقفا».

وهكذا انتهى التطور الصوتى الى مجموعة من الأدوات والى تركيب نحوى جديد.

خامسا: أفعال السكون والحركة:

لهذه الأفعال دور واضح في العربية، أما أفعال السكون فقد نشأ عنها النواسخ الفعلية «كان» (والوجود معنى مستقر) وبات ظل وأصبح وأمسى وصار الى جانب عدد من أفعال الحركة المنفية وهي «مابرح» مافتىء و «مازال»

ورفع اسم كان وأخواتها حدث بمحاكاة الفاعل ونصب خبرها بمحاكاة المفعول. ويلاحظ أن هذه الأفعال تقوم بدور الرابطة في الجملة العربية copula. والرابطة في الجملة العربية تكون صفرية في صيغة المضارع المثبت فقط أما عند النفى أو التعبير عن الزمن فإن كان أو احدى أخواتها تستعمل لربط جزئى الجملة الاسمية مع اختلاف ثانوى في المعنى كتحديد الوقت بالصباح أو المساء أو مع اضافة التحول بجانب الربط الخ.

وأفعال الحركة في العربية الفصحى تتمثل فيما يعرف بأفعال الشروع وهي تستعمل للتعبير عن بدء الحدث والاستمرار فيه مثل «جعل يتكلم» و«ظل يتكلم» الخ.

وفي اللهجة المصرية سقطت جميع أخوات «كان» فيما عدا «كان» نفسها التي دلت على مجرد الزمن. وحلت مع هذه الأفعال مجموعة أخرى من أفعال السكون.

مثل بقى / ب اءا/ وقعد /ء ا ع اد/ وفضل /ف ى ض ي ل/ وتنه /ت ا ن ن و ه/ الخ وكلها تدل على استمرار الحدث و بطبيعة الحال فليس لهذه الأفعال أثر اعرابي ومن ثم فقد انحصرت وظيفتها على الدلالة على كيفية الحدث.

أما أفعال الحركة فان لها كذلك دورا تركيبياً. ومن هذه قام/ ءاام/ في مثل «كلمته قام زعل» وهي تعبر عن أن الحدث الثانى نتيجة للحدث الأ ول أو بعبارة نحو ية فان «قام» فعل مساعد يربط بين الفعل الذي يعبر عن حدث والفعل الذي يعبر عن نتيجته.

ومن هذه الأفعال «راح» وتستعمل استعمال «قام» وهي في صيغة الماضى ولكن الذي يليها اسم الفاعل لا الفعل مثل:

«كلمته راح سايبنى وماشى» ويمكن استعمال «قام» مكان «راح» في مثل هذا التركيب «كلمته قام سايبنى وماشى» (٣٣).

أما اسم الفاعل من راح وهو «رايح» فقد تخصص للدلالة على الاستقبال وهي دلالة ضمنية لجميع أسماء الفاعلين المشتقة من أفعال الحركة مثل قايم، نازل وماشى الخ مثل:

«أنا قايم آكل»، «أنا نازل آكل» أنا «ماشى آكل» الخ.

و بتخصيص «رايح» للدلالة على الاستقبال تولد عنه صيغتان مخففتان هما «رح» و «ح» مثل:

ريح أجليك/ راى ح اج ى ى ل ا ك/ رايح اجيلك

أو رح أجليك/ راح اج ى ى ل ا ك/ رح اجيلك

أو حجليك/ ح ا ج ى ى ل ا ك/ حجيلك

النفى في اللهجات العربية:

من أدوات النفى في العربية الفصحى عدد من الألفاظ ذات الوظيفة النحوية ومن هذه ليس ولا النافية للجنس ولات ولم ولما ولن وان النافية. وقد سقطت هذه الأدوات جميعا من العامية المصرية. وبقيت «ما» و «لا» الى حد ما وسيلة النفى في اللهجات المعاصرة وليس لهما أى أثر اعرابى كما هو واضح.

وتنقسم اللهجات العربية الى نوعين:

١ ــ لهجات تستعمل ما في جميع التراكيب (ولا أحيانا) دون أن يكون لها أثر تركيبى ما مثل لهجة الموصل ولهجة السودان.

٢ ــ لهجات ركبت «ما» مع لفظ «شيء» أو «هو» وانتجت بذلك ألفاظ نفى مركبة كالعراقية (وتستعمل «مو» و «ما») والمصرية وتستعمل «ماهش، ومش ما ــ ش) وهذه اللهجات قد جعلت النفى نظاما تركيبيا نحو يا مثال ذلك في العراقية:

جملة الاثبات	جملة النفى	الطريقة
هذا محمد	هذا مو محمد	استعمال «مو» قبل الاسم
محمد شرب	محمد ماشرب	استعمال «ما» مع الفعل
آنى كلت وشربت	أنا لا كلت ولا شربت	النفى بلا عند التعدد قبل الفعل
شفت محمد وعلى	ماشفت لا محمد ولا على	استعمال لا عند التعدد قبل الاسم
هذا محمد أوعلى	هذا مو محمد ولا على	بدون قسم
	وداعتك ما محمد ولا على	استعمال «ما» فعل الاسم مع القسم

ومثال ذلك في المصرية:

ده محمد	ده مش محمد	نفى الاسم بالاداة مش
ده كل	ده ماكلش	نفى الفعل بما واللاحقة «ش»

أنا مسافر	مانيش مسافر	نفى الضمير بما واللاحقة «ش»
محمد حيسافر	محمد مش حيسافر	نفى الفعل المستعمل بالأداة «مش»
والله هو مسافر	والله ماهو مسافر	نفى الضمير بما دون اللاحقة «ش» عند القسم

الخ (٣٤)

كل ماسبق أمثلة لتغيرات جوهرية في بناء الجملة العربية جدت على اللهجات الحديثة فجعلتها بناء يختلف اختلافا جوهريا عن بناء العربية الفصحى وليس كل ماقلت سوى أمثلة قليلة ومقتبضة قد تنقصها الدقة والتفصيل. وقد قصدت بها الى أمرين أولهما أن أبين بالمثال ماذكره اللغويين منذ عهد دى سوسير حتى اليوم من أن اللغة في تغير دائم «flux and change» وأن هذا التغير لا يحطم بناء اللغة في أى لحظة من لحظات وجودها. و بالتالي فان الدراسة البنائية التي تغفل التغيرات التي تحدث في نفس الوقت الذي يوجد فيه البناء دراسة ناقصة. كما أن النظرة البنائية ينبغى أن تكون أشمل من أن تغطى الدراسات الوصفية.

وقد رأينا فيما ذكرنا من أمثلة كيف أن التطورات كثيرا ماتمثل تيارات تاريخية وهي بهذا المعنى تغيرات منتظمة.

وهذا يعنى كذلك أن دراسة تاريخ اللغة ينبغى ألا تقتصر على دراسة التطور في الأصوات والمفردات بل ينبغى أن تمتد الى الصرف والنحو.

أما ثانى الأمرين فهو أن أشير آسفا الى نوع من الكسل العقلى أو عدم وضوح الرؤية عند كثير من المشتغلين بالدراسات اللغوية ولقد نشأت الدراسات اللغوية السامية المقارنة وترعرعت في القرن الماضى على يد المستشرقين، الذين تتلمذ عليهم بعض الدارسين العرب. ثم انتهى اهتمام أوروبا الاستعمارى بالعالم العربى وانتهى بهذا اهتمامها الثقافى به. ومن هنا انحدرت هذه الدراسات في الغرب ومن الطبيعى وقد وصل العالم العربى الى مرحلة النضج الثقافى أن يتابع السير الذي بدأه المستشرقون. ومع ضخامة الميدان وكثرة الامكانيات المادية والعقلية للبحث وزيادة عدد الجامعات العربية الى مايقارب مائة فان الدراسة اللغوية التاريخية لا تزال تتعثر.

الهوامش :

١ ــ أنظر رابين ص ٣٣ وقد نسب هذه الآلفاظ الى اللهجات اليمنية.

٢ ــ تناثر وصف سيبويه للضاد الفصحى في سطور متفرقة نجمعها هنا. وسنحاول أن نخرج من عبارته الغامضة بوصف لهذا الصوت نسجله بلغة علماء الأصوات المحدثين فهو يقول بعد الاشارة للضاد الضعيفة «الا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وان شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الأطباق مع ازالته عن موضعه وانما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار الى الموضع الذي في اليمين. وهي أخف لأنها من حافة اللسان وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل حين تخالط حروف اللسان فسهل تحويلها الى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر الى مثل ما كانت اليه في الأيمن ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت كذلك في الأيمن»... «ومن بين أول حافة اللسان ومايليه من الأضراس مخرج الضاد».. «فأما الجهورة فالهمزة والألف... والضاد...» «ومنها (أى الأصوات) الرخوة (أى الاحتكاكية) وهي الهاء.. والضاد... أما المطبقة فالصاد والضاد»... «ثم يقول أخيرا» ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لانه ليس شيء من موضعها غيرها» و بلغتنا تكون الضاد صوتا لثويا جانبياً احتكاكيا مجهورا مفخما.

٣ ــ هو من قبيلة المناهيل بحضر موت وقدتخرج في جامعة الكويت و يقيم الآن و يعمل بدولة الكويت ــ أنظر أيضا موسكاتى ص ٣٠ ورابين ص ٣٣.

٤ ــ ج ١ ص ٢١٩ وقد وصف ابن الجزرى مخرج الضاد في ص ٢٠٠ ج ١ كما وصفه سيبويه ونقل عن الخليل أن الجيم والشين والياء غير الممدودة أصوات شحرية كالضاد (ولم يذكر صفة الجانبية) ولكنه ميز الصاد بأنها تخرج مما بين اللحين ولعله يقصد بهذا الجانبية.

٥ ــ أنظر كتاب كرينوفتش لمعرفة أصل الأصوات المفخمة في الساميات. وانظرأيضا بروكلمان. ترجمة رمضان عبد التواب باسم فقه اللغات السامية مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧.

٦ ــ "W. G. Cowan, A Reconstruction of Proto-Colloqual Arabic" Am ARBER, London.

٧ ــ «خرج» الرقيقة في المثال تعنى أخرج ماء الورد من الزهر بعملية التقطير.

٨ ــ أنظر ص ٣٤ من كتاب كرينوفتش السابق وهو يرى أنه من الخطأ القول بأنه الأصل الثلاثى هو الأصل التصريفى في الفعل السامى. في العربية مثلا يوجد وزن فعل ثلاثى واحد يمكن أن تعتبر حركاته مؤشرا للحركات في الأوزان الأخرى وذلك بفضل قواعد ثابته للتغير الصوتى. وفي اللغات السامية الغربية (ومنها العربية) تعتبر وزن المضارع هو الأصل التصريفى (للماضى والأمر واسم الفاعل واسم المفعول) والفعل المضارع «يكتب» بعين حركات الماضى، ولما كان الماضى مفتوح الفاء دائما ــ في صيغة المبنى للمعلوم ــ ومفتوح اللام ومضمومها أو مكسورها أو ساكنها طبقا للواحق من تاء الفاعل أوتاء التأنيث الخ فان الحركة التي تميز النوع التصريفى للماضى هي حركة عينه)

والضمة في عين الفعل المتعدى مثل «يكتب» تلزم كون حركة الناء في الماضى فتحة «كتب» وفي المبنى للمجهول واسم الفاعل كسرة وكتب الخ. والكسرة في عين المضارع «يضرب» تفرض أن يكون حركة عين الماضى المبنى للمعلوم فتحة والمبنى للمجهول واسم الفاعل كسرة الخ والضمة في عين المضارع اللازم تفرض أن تكون حركة عين الماضى المبنى للمعلوم ضمة مثل «يعظم وعظم» والمبنى للمجهول واسم الفاعل كسرة الخ). ولكن لايمكن القول بأن حركة عين الماضى تدل على حركة عين المضارع ضرورة أن فتح عين الماضى قد يقابله في المضارع كسر أو ضم ذهب يذهب وخرج يخرج.

٩ــ مثل «قطع دا راجل متعب».

١٠) يقال في المصرية «زهق» و «زهق» و «غلب» و «غلب» والوزنان يدلان على صفة في الفاعل. وربما كانت الصيغة المضمومة مأخوذة من المبنى للمجهول في العربية أما الصيغة المكسورة فمأخوذة عن صيغة «فعل» العربية بكسر العين. وتكسر المصرية فاء الكلمة وعينها في هذه الصيغة.

١١ــ يقال أيضا «الحكومة أبعدته من قائمة الترشيح» وهذا اقتراض من الفصحى لم يتغير.

١٢ــ أنظر تفاصيل ذلك في بحثنا المفهومات الأساسية للتحليل الصرفى في العربية ولهجاتها وقد نشر بالعدد السابع المجلد الثاني من هذه المجلة بعنوان «البناء الصرفى للافعال والاسماء في العربية».

١٣ــ في بحثنا المفهومات الأساسية للتحليل الصرفى «سمينا الصرفيم الداخلى بمصطلح «عنصر صرفيمى».

١٤ــ قواعد اللغة العربية للدكتورعونى عبد الرؤف مطبعة عين شمس ١٩٧١ القاهرة ص ١٥٢. وانظرأيضا موسكاتى ص ٨٥ و ص ٧١.

١٥ــ الحول عيب في النظر. وعند وجوده يتحول اتجاه العين عن الخط المستقيم لامتداد البصر.

١٦ــ رابين ص ٢٠١ وفي صيغة الجمع قلب مكان حيث أن النون في المفرد «ناقة» تسبق حرف العلة.

١٧ــ في اللهجة المصرية «محيت»/ م ا ح بى بى ت/ ولها أحد فرضين أن تكون مأخوذة عن لهجة طيىء أى أن/ ـــى ـــى/ المصرية /أى/ وهذا أمر طبيعى أو أن تكون قد أخذت عن «محوت» أى أن / ـــى ـــى/ المصرية ــ /أى/ ــ /أو/

١٨ــ انظر تفاصيل ذلك في المرجع السابق ص ١٠١.

١٩ــ انظر تفاصيل اضافة هاء السكت في باب الوقف من كتاب شذا العرف للحملاوى.

٢٠ــ تستعمل المصرية كلمة «بق» (ب وء) التي استعارتها من بكا/ ب و ك ا/ الايطالية بدلا من «فم» العربية. ومن بقايا «فم» العربية «فم السيجارة» فم الخليج» و «فم الغسيل» و يلاحظ هنا أن المصرية قد احتفظت بضم الفاء، و بهذا سلكت «فم» مسلك «هم» مع فارق هو أن الضم في «هم» بقية من صرفيم جمع المتكلم أما في «فم» فبقية من الأصل الثالث للكلمة وهو الواو.

٢١ــ انظر رابين ص ٨٨. وقد تساءل الزميل الدكتور محمد سامى أنور عن سر هذا في مقال له بالعدد الأول من مجلة «الحصاد» الصادر في سنة ١٩٨١م عن قسمى اللغة العربية والانجليزية بجامعة الكويت.

٢٢ــ انظر رابين ص ٦٩. ومقتضى ماقيل هنا أن «لبيك وسعديك» ليسا اسمين مثنيين مقصورين مضافين للضمير. بل هما «لبى» و «سعدى» مضافين للضمير على لهجة هذيل.

٢٣ــ ص ١٦٣ و يقول موسكاتى بأن النون في الاكادية تدغم فيما بعدها ومثل لذلك بهذا الفعل، ولكنه يقول أيضا بأن هذا الادغام لا يتم في صيغة الأمر حيث أنه من الفعل «ادين» /ى د ى ن/ كما أن الفعل في الأكادية القديمةوالآشورية هو/ د ى ن/.

٢٤ــ قد يقول البعض ان «لات» تدخل على المذكر كما في قوله تعالى «ولات حين مناص» وان التاء فيها لا تكون بالتالي تاء تأنيث و بالرجوع الى الاشمونى وحاشية الصبان ح ١ ص ٣٣ طبعة الحلبي نجد مايأتى: أصل لات لا النافية زيدت عليها تاء التأنيث كما في ربت وتمت قيل ليقوى شبهها بالفعل وقيل للمبالغة في النعى كما في علاّمة ونسّابة للمبالغة» شرح الاشمونى و يضيف الصبان «قوله كما في ربت وتحت أى فالتأنيث المستفاد من تاء لات للفظ ».

أما ان التاء قد زيدت على «لا» فأمر غير مقبول اذا مار بطنا بينها و بين ليت السوريانية لان هذا يقتضي ان يكون الاصل التاريخي على النحو الآتي:

المرحلة الاولى : لا

المرحلة الثانية:

أ ــ لا + ايش (بمعنى يكون) في العبرية

ب ــ لا + أيت (بمعنى يكون) في السوريانية

ومع «أ» في المرحلة الثانية ترتبط «ليس» «ولا ايس» العربية و(لا أيش في العبرية). وقد تخصصت «ليس» بنفى الجملة الاسمية وعوملت معاملة الافعال الناسخة فقبلت اللواصق الفعلية (ليست لسنا الخ) ومع المرحلة الثانية «ب» ترتبط «لات» العربية التي كونت مع «لا» ثنائية لنعى الاسم وتخصصت «لات» (١) بنفى الزمن و (٢) بحذف اسمها.

ولابد لنا من التفسير الوصفي (لا التاريخي) للتاء في «لات» ولا تسمح النظم في العربية الفصحى بأكثر من احتمالين لهذا التفسير اولهما ان تعتبر التاء اسم اشارة لمؤنث (ذا/تا). وهذا يفسر القاعدة التي تقول بحتمية حذف اسم لات. حيث ان سبب هذا الحذف هو وجود هذه التاء التي هي في الواقع اسم لا.

ولكن هذا الفرض لايستقيم لمانع منهجى هو ان افتراض كون التاء اسم اشارة يعني ان العلاقة القائمة بينها و بين لا علاقة نحوية. والعلاقة النحوية ليست علاقات بين الالفاظ بل بين الانواع النحوية. اي ان التركيب النحوى هو النموذج/ اداة نافية للجنس + اسم اشارة + خبر/ وهنا يتحتم جواز الاحلال substitution و بهذا يمكن ان يكون التطبيق الخارجي للنموذج:

لا + ت (اسم اشارة لمؤنث) + خبر

أو لا + ذا (اسم اشارة لمذكر) + خبر .

ولما كان من غير المقبول في العربية ان نقول «لا ذا حين مناص» كما نقول «لات حين مناص». فان اعتبار التاء اسم اشارة لمؤنث غير وارد.

أما ثانى الاحتمالين فهو اعتبار التاء مجرد علامة تأنيث لحقت هذا الحرف كما لحقت سواه من الحروف التي ذكرها الاشموني. ولكن هذا الاعتبار سيواجه المثال «لات حين مناص» وفيه يكون الاسم الدال على الزمان مذكرا لا مؤنثا.

و يقدم الاشموني للخروج من هذا التناقض ــ ضمنا لا صراحة حلا هو اعتبار التاء زائدة للمبالغة كما في «نسابة» و «علامة» وهذه التاء أيضا للتأنيث كما يقول الاشموني في الجزء الاول ص ٩٦/ ٩٧ حيث اعتبر تاء التأنيث في هاتين الكلمتين «قد زيدت.. لتأكيد المبالغة». و بالتالى فان دلالة «لات» على مذكر لاضير فيها حيث ستكون كدلالة «نسابة» و «علامة» على مذكر. وهناك حل آخر يقدمه الصبان في الحاشية («قوله لانه الاصل» لأصالة التذكير دليلان احدهما انه مامن مذكر ولامؤنث الا و يطلق عليه شيء وشيء مذكر)حـ ١ص ٩٥. ولوسمحت لنفسي بوضع القضية بالفاظى مع تعديل طفيف لمفهوم نصه فسأقول بأن القاعدة تقتضي ان يصح الاخبار بالمذكر عن مبتدأ مؤنث، اذا كان الخبر دالا على جنس، وذلك مثل قولنا «محمد انسان» و «فاطمة انسان» وذلك رغم ان لفظ انسان مذكر وفاطمة مؤنث. ولو قلنا بأن «حين» و «وزمن» الفاظ تدل على نوع الزمن لامكن ان نقول «الساعة زمن» و «الساعة حين» و «الساعة وقت» وهكذا وسيكون من الممكن بالتالي ان يكون اسم لات المحذوف مؤنثا كما يقتضى تأنيث «لات» وان يخبر عنه باسم مذكر للدلالة على نوع الزمن.

بمثل هذا التفسير نكون قد جمعنا بين ضرورة اتباع المنهج الوصفي باعتبار ثنائية لا/ لات ثنائية تذكيروتأنيث و بين تفسير المثال «لات حين مناص».

٢٥ ــ قد يكون مثل هذا الاعتبار سببا في اعتبار «سماء» اسما مؤنث (بالألف الممدوده) مع أن الكلمة ليست على وزن فعلاء.

٢٦ ــ يقول موسكاتى بأن التصريف بزيادة لواحق للمادة الاسمية مماثلة للواحق الماضى في العربية، كان في الأكادية لاشتقاق صيغة اسمية تفيد الاتصاف بحدث ثابت ومثل لهذا مايأتى:

١ ــ دمق (دام ا ق) بمعنى هو حسن

وهي نظيروزن فعل ومثالها تعب في العربية

٢ ــ زكراك /زى ك ا ر ا ا ك و/ بمعنى أنا ذكر

وهي نظيروزن «فعلت» في العربية مثل أكلت.

ثم يذكر أن عددا من اللغات السامية الأخرى كانت تعبر على معنى الفعل الماضى العربى بصيغ تبدأ بحروف المضارعة وأن الأوزان التي تنتهى باللواحق الشبيهة باللواحق الشبيهة بلواحق الماضي كانت تدل على صفات ثابته ــ انظر ص ١٣٢ ــ ١٣٣.

٢٧ ــ المفرد «سو» و الالف للتثنية و «سو» ضمير الغائب المفرد.

٢٨ ــ انظر جداول تصريفات الفعل في «فقه اللغات السامية» من ص ١٢٦ الى ص ١٣٢ ترجمة رمضان عبد التواب.

٢٩ ــ راجعت السيد «أبو أواس ابراهم الشمسان» المعيد بجامعة الرياض في هذا المثال وقضية عدم استعمال «ليس» وقد أكد ذلك لى مشكورا.

٣٠ ــ راجع كتابنا العربية ولهجاتها ص ٨٤ ومابعدها ورابين ص ١٢٩.

٣١ ــ تمثل «ان» المكسورة صيغة الامر والمفتوحة صيغة الماضى من المادة المجردة.

٣٢ ــ تنطق ان أيضا عن وتنطق لعل هكذا لعن.

٣٣ ــ لهذه الأفعال وظائف متعددة ليس هنا مجال مناقشتها.

٣٤ ــ انظر موضوع النفى في العربية ص ١٢٢ من كتابنا «اللغة والتطور».

Articulation	اداء نطق
Alveolar	رخو
Accoustic	سماعى
Analogy	محاكاة
Affix	لاصقة
Bi-labial	شفوى ثنائى
Back	خلفى
Consonant	ساكن
Colloquial	لهجة عامية ــ دارجة
Carrying Power	قوة الاسماع
Close	ضيق
Central	مركزى
Dental	اسنانى
Double articulation	ازدواج الأداء
Diphthong	حركة مزدوجة
Element	عنصر
Epiglottis	لسان المزمار
External	خارجى
Exponant	مؤشر
Feature	صفة صوتية / نحو ية الخ
Front	امامى
Formal	شكلى

Flapped	لمسى
Fricative	احتكاكى
Glottis	فتحة المزمار
Hard Palate	السقف الصلب
Hearing	السمع
Institution	نظام ــ مؤسسة
Internal	داخلى
Infix	واسطة
Labial	شفوى
Lateral	جانبى
Long	طو يل
Larynx	الحنجرة
Morphology	الصرف
Morpheme	الصرفيم
Morpho-phoneme	الصوتيصرفيم
Nasal	انفى
Operatives	ادوات
Open	واسع
Proto-language	اللغة الأم
Pair	زوج
Pattern	نموذج ــ وزن
Pharynx	البلعوم
Plossives	انفجارى
Phonetics	الصوتيات
Phonemics	الصوتيميات
Phoneme	الصوتيم

Phonetic law	قانون صوتى
Pure vowel	حركة خالصة
Prefix	سابقة
Rolled	متردد
Structure	تركيب ــ بناء
Soft Palate	السقف الرخو
Substitution	ابدال ــ احلال
Stress	النبر
Semantics	علم الدلالة
Short	قصير
Suffix	لاحقة
Syllable	مقطع
Utterance	نطق
Uvular	لهوى
Voiceless	صوت مهوس
Vocal cords	الاوتار الصوتية
Voicing	جهر
Vowel	حركة
Verlar	رخو
Vernacular	لهجة دارجة
Word-order	ترتيب الكلمات

المراجع العربية :

أيوب، عبدالرحمن ــ العربية ولهجاتها ــ نشر معهد البحوث
والدراسة العربية ــ القاهرة ١٩٦٨

أيوب عبد الرحمن ــ اللغة والتطور ــ نشر معهد البحوث والدراسات
العربية ــ القاهرة ــ ١٩٦٨

حاشية الصبان على الأشموني، طبعة الحلبي / القاهرة ــ ليس لها تاريخ.

الحملاوي ــ شذا العرف في فن الصرف القاهرة ١٣٢٤ هـ

الجزرى ــ النشر في القراءات العشر

عبدالرؤوف، عونى ــ قواعد اللغة العبرية
مطبعة جامعة عين شمس مصر ١٩٧١.

المراجع الاجنبية :

Brockelmann, C. **Semitische Sprachwissenschaft.** Place of Publication: Publisher, Year.

ترجمة رمضان عبدالتواب بعنوان «فقة اللغات السامية»
مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧

Kurylowics, Jerzy. **Studies in Semitic Grammar and Metrics.** Poland, Warsaw: 1977.

Moscati, Sabatino, et. al. **An introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages.** Germany: Otto Marasso Witz Wiesbaden, 1964.